

المسائل الهامة للمسلمين عامة

تأليف الفقير إلى الله تعالى:
حسن القطامي

جميع حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع:

الطبعة الثانية

طبعة مصححة وبها إضافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وقال ﷺ: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ وقال ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ أما بعد: فبين يديك أخي الكريم هذه الرسالة القصيرة والتي هي عبارة عن نبذة تعريفية بخلاصة الحقيقة التي ينبغي أن يعرفها كل أحد على وجه هذا الكوكب البسيط، هي كلمات كتبت بعناية وبساطة وبوضوح وإيجاز تكفي مع توفيق الرحمان من اشتغل بها إن فهمها وأتبعها بالعمل هي نوافذ مفتوحة تشع منها أنوار الآيات والأحاديث تهدي الحيران وتجيب على تساؤلاته بإذن الله تعالى، قال ﷺ: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ وقد سميتها (المسائل الهامة للمسلمين عامة) وهي محاولة مني لطرق مثل هكذا موضوع رجاء أن أنال شيئا من شرف الدعوة إلى الله ﷻ لذا أرجو ممن وجد خطأ أو زللا من قلم أن يصلحه ويدعو لي بالغفران فأنا صاحب الزلل والخطأ.

رمضان ١٤٢٧ حسان القطامي

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فهذه الرسالة "المسائل الهامة للمسلمين عامّة" أوّل شيء كتبت في حياتي لأنني كنت أشعر أنني بحاجة ماسة لكتاب أو كتيب يحوي بداخله معلومات جامعة وسهلة عن ما أعتبره الحقائق الكبرى، التي يجب على كل إنسان معرفتها، والتي هي:

■ الله ﷻ الذي أوجدنا وأمدّنا بكل ما نحتاجه وحملنا أمانة الدين الذي فيه الهدى والرّشاد،

- الإنسان الذي تحمّل هذه المسؤولية وخاض غمار هذا الامتحان،
- الدنيا مكان العمل والاختبار، والوقت الذي نعيشه حتى يأتي الأجل
- الدين أمانة الله عندنا، ومنهاجه الذي أمرنا بالتزامه، والسير على هداية
- الشيطان العدو اللدود لبني آدم الذي كلّّ همّه أن يمنعنا من القيام بواجبنا وأداء الأمانة التي علينا

- المخالفات وهي الذنوب والأخطاء التي نقع فيها
- الآخرة مصير كل المكلفين والتي تبدأ بالموت وتنتهي باستقرار المؤمنين بدار السلام "الجنة"، والكافرين والمنافقين بدار البوار "النار"، نسأل الله الجنة وما يقرب إليها من اعتقاد وقول وعمل ونعوذ به من النار وما يقرب منها من اعتقاد وقول وعمل، إنه سميع مجيب، وقد أعددتها بأسلوب يناسب الصغار والكبار، طبعاً بما تيسّر لي حينها، والآن وبعد مرور سنوات على كتابتها رجعت إليها، فأعجبتني كما هي إلا أنني عدّلت صياغة بعض عباراتها، وأضفت شيئاً يسيراً في بعض مواضعها، لتكتمل فائدتها، فإن أصبت فذلك فضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول (الله ﷻ)

معرفة الله ﷻ لازمة بل هي أول واجب على المسلم قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق - الآية ١ وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد ١٩، والذي يجب أن نعرفه عن الله ﷻ ونؤمن به هو أنه عز وجل الواحد في: -

(١) ربوبيته: فالله ﷻ مالك الكون وموجده والمتصرف فيه والنافذ أمره على غيره قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الملك ١ وقال ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس ٨٣

■ فالخلق والرزق والموت والحياة بيده قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الروم ٤٠

■ وقبض الرزق وبسطه بيده قال تعالى: ﴿إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾
■ والعزة والذلة بيده قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران ٢٦

■ والنفع والضرر بيده قال ﷻ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ الفتح ١١

■ والخلائق كلها فقيرة إليه ﷻ لا عيش لها بدونه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر ١٥

وقضية الإيمان بربوبيته ﷻ يعترف بها كل إنسان على وجه هذه الأرض قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُوا اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت ٦١ إلا أنه قد يجحدها لسبب من الأسباب لكنه يعود للاعتراف بها حين يقع في معضلة يعجز كل الخلق عن حلها فيلجأ تلقائياً للخالق ﷻ قال

تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ والآيات كثيرة بل إن الأخبار والأحداث والوقائع تشهد صراحة بهذا فإذا كان الجميع يؤمن بربوبية الله فإن هذا الإيمان يستلزم الإيمان بأن الله واحد في: (٢) ألوهيته: أي لا يستحق العبادة أحد سواه وهذا ما بعث الله به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: وحدوا الله بالعبادة فلا تسجدوا ولا تركعوا ولا تصلوا ولا تندرؤا إلا لله ﷻ، والطاغوت كل ما عبد من دون الله ﷻ،

وعلينا أن نعلم أن توحيد الله "إفراده بالعبادة" والكفر بالطاغوت، لازم على كل عبد من عباد الله عقلاً ومنطقاً كما هو واجب شرعاً لأنه إذا كان الله هو خالق الكون ومدبر شئون الخلائق فيه فإن له وحده الأمر والنهي قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف ٤٥ فالله ﷻ هو المشرع وعلى الناس أن يسيروا وفق شرعه في كل مجالات حياتهم لأنه من خالف فقد خرج عن الطاعة اللازمة عليه لله ﷻ قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة ٤٧ لذلك فإن كل مشرع سوى الله ﷻ تشريعه باطل لأنه لا حول له ولا قوة ومن لا حول له ولا قوة لا يستحق أن يعبداه الناس ويستسلموا له وينقادوا لأوامره قال تعالى موضحاً أن كل من سواه أحقر وأقل من أن يكون إلهاً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ الحج ٧٣ وقال ﷻ مبيناً فداحة خطأ المنخدعين الغاوين الذين أشركوا مع الله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا﴾ الفرقان ٣ فصرف شيء من العبادة لغير الله من أعظم الظلم الذي لا يتفق

مع أبسط قواعد الإنصاف والعدل قال تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ يونس ١٠٦
ومن الإيمان بالله تعالى الإيمان بأن له أسماء حسنى وصفات عليا تليق به ﷻ
وهذا ما يسمى بتوحيده ﷻ في:

(٣) أسمائه وصفاته: فالله ﷻ له أسماء حسنى وصفات عليا وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة علينا أن نؤمن بها إيمانا يقينيا على ما يليق بالله ﷻ بلا تكلف ولا تعسف، ونثبتها كما أثبتها الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل ولا تأويل، لأن الله جل في علاه يتصف بكل صفات الجلال والجمال والكمال التي لا مثيل له فيها ولا نظير قال ﷻ: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى ١١ وقال تعالى: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ سورة الإخلاص، ولأن الله بين لنا أن الناس عاجزون عن الإحاطة بشيء من علمه ﷻ فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ طه - الآية ١١٠ وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر - الآية ٦٧ وقد روي من حديث أبي ذر وابن عباس وغيرهما ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروه قدره) قال الألباني في الصحيحة وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي. ولذلك قال العلماء: "كل ما يخطر ببالك فالله ليس كذلك"

وقد ندبنا الله ﷻ أن ندعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى تعبدا وتقربا فقال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ الأعراف ١٨٠

وإن من أسمائه ﷻ الحسنى وصفاته العليا ما رواه البخاري ومسلم من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) ولكن لا تنحصر أسمائه تعالى في هذا العدد بل هي كثيرة قد ورد غيرها في الكتاب والسنة نؤمن بها إجمالا.

كيف نصل إلى معرفه الله؟

نعرف الله ﷻ عن طريق:

(١) الوحي فمن أراد أن يعرف الله فعليه أن يقرأ ما ذكره الله ﷻ عن نفسه في القرآن الكريم وما أخبر عنه نبيه ﷺ في السنة المطهرة الصحيحة^(١) لأن القرآن خاتم الكتب والمهيمن عليها والنبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله لهداية الناس وتعريفهم بربهم وما ينبغي له من العبادة والخضوع والانقياد لأوامره فلو نظرنا في آيات الله المقروءة لوجدنا مثلا قول الله ﷻ عن نفسه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۖ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۖ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر ٢٢-٢٤ وقال الله ﷻ في أعظم آية في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة ٢٥٥ فالله جل في علاه أجل وأعظم مما قد يخطر على البال قال ﷻ: ﴿وما قدروا

(١) للاستزادة راجع الصفحات السابقة

الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» الزمر ٦٧

(٢) التفكر في مخلوقات الله، فالتفكر في كل شيء خلقه الله عز وجل في السماوات والأرض يوصل إلى معرفة الله الخالق المدبر الحكيم اللطيف الخبير القوي المتين الجبار العظيم الرحمن الرحيم:

■ فانظر إلى كل شيء في السماوات والأرض قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ يونس ١٠١

■ انظر في نفسك قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات ٢١.

■ تأمل في أصلك قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب﴾ وقال تعالى: ﴿أفأرأيتم ما تمنون، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾.

■ تأمل في الزرع والحرث قال تعالى: ﴿أفأرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكهون﴾.

■ انظر إلى الماء التي تشربها كيف جاءت ومن أين ومن الذي أتى بها قال تعالى: ﴿أفأرأيتم الماء الذي تشربون، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾.

■ فكر في النار التي بين يديك من زودها بالإحراق بل من أوجد أصولها قال تعالى: ﴿أفأرأيتم النار التي تورون، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾.

■ تأمل في الإبل وفي السماء وفي الجبال وفي الأرض قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾.

■ ثم تأمل وأنت تسير على هذه الأرض في حال الجاحدين المخالفين لمنهج الله وشريعته على مر العصور والدهور قال تعالى: ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ النحل ٣٦

إذا فطريق معرفة الله هي النظر في آيات الله المقروءة: (الوحي الذي يشمل القرآن والسنة) وآيات الله المشاهدة الماثلة في الكون: لذا اسمع وتأمل كلام الفطرة السليمة الصادرة من أعرابي قال: "البعرة تدل على البعير وأثر القدم يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على العليم الخبير". وكما قال الشاعر:

تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لُجَيْنٍ شاخصاتٌ	بأحداق هي الذهب السبيك
على قُصْبِ الزبرجد شاهداتٌ	بأن الله ليس له شريك

وقال أبو العتاهية:

فوا عجباً كيف يُعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكٍ	وفي كل تسكينٍ شاهدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ	تدل على أنه الواحدُ

المبحث الثاني (الإنسان)

- خلق الله ﷻ آدم ﷺ بيده من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ثم أمر الملائكة بالسجود له قال تعالى: ﴿إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ، قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ص آية (٨٨)
- ثم بعد ذلك خلق الله ﷻ من آدم ﷺ زوجة حواء عليها السلام؛ ليسكن إليها، ويأنس بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء ١ فالنفس الواحدة هي آدم ﷺ وزوجها هي حواء عليها السلام فذاك أبو البشر وتلك أم البشر.
- إذا فالأصل الأول وبداية خلق الإنسان من تراب قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة ٧
- وأصل التناسل من ماء مهين قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ السجدة ٨
- هذه الماء المهين هي النطفة التي تخرج من الصلب للرجل والتراتب للمرأة وتجتمع لتستقر في رحم المرأة قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ

ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب ﴿سورة الطارق ٥- ٧﴾

- ثم يتدرج في التكوين داخل رحم المرأة عبر المراحل المذكورة في القرآن الكريم "نطفة، علقة، مضغة، عظام، كسو العظام لحما" قال تعالى: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ المؤمنون ١٣- ١٤
- وأنت في بطن أمك يختار الله لك الذكورة أو الأنوثة قال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ سورة القصص ٦٨.
- والصورة والشكل اختارهما لك الله كما يشاء ويريد قال ﷻ: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك﴾ سورة الانفطار وقال ﷻ: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران ٦.
- ثم يخرجك الله من بطن أمك إلى الأرض بعد أن زدّدك بوسائل المعرفة قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل ٧٨.
- ثم تتوالى المراحل على الإنسان في هذه الأرض طفلا ثم شابا ثم رجلا ثم شيخا وشيبة وقد يموت في أي مرحلة من مراحل عمره قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا ً وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ سورة غافر ٦٧.
- بعد أن يعيش الإنسان ما كتب الله له من العمر ويصل إلى أجله المسمى من قبل الله مسبقا يموت وينتقل إلى ربه قال ﷻ: ﴿ولتبلغوا أجالا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ سورة غافر ٦٧ وقال سبحانه: ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ سورة النحل ٦١.

تكریم الله للإنسان

قال ﷻ: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء ٧٠.

■ كرّم الله الإنسان بأن خلقه في أكمل وأحسن صورة قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ سورة التين ٤.

■ وكرّمه حين زوده بوسائل العلم من سمع وبصر ولسان وعقل قال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفهتين، وهديناه النجدين﴾ سورة البلد (١٠).

■ وكرّمه حين خلق له كل شيء في هذه الأرض قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ سورة البقرة ٢٩.

■ كرّمه حين سخر الأرض ودّلّها له، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ سورة الملك ١٥.

■ وحين سخر الأنعام وأخضعها له، ليستفيد منها قال تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون،

وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ سورة النحل ٨٠.

■ وحين أمدّه الله بالماء الطاهر النقي ليشرب منه ويتطهر ولتشرب منه الأرض فتنبت الزروع والشمار التي هي الأخرى مما سخره الله لهذا الإنسان قال تعالى:

﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم

يتفكرون﴾ سورة النحل ١٠-١١.

■ وحين سخر له الليل للراحة والنهار للمعاش وجعل في الليل قمراً ونجوماً ليهتدي بها الإنسان ويعرف عدد السنين والحساب وجعل في النهار شمساً يستفيد

الإنسان من ضوئها وحرارتها قال تعالى: ﴿وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا﴾ سورة النبأ ١٠ - ١١ وقال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ سورة يونس ٥

■ وما أعدده الله في الأرض من ثروات وأودعه فيها من كنوز كل ذلك للإنسان قال تعالى: ﴿وما ذرا لكم في الأرض مختلف ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ سورة النحل ١٣.

■ وما أعدده الله وسخره في البحار والمحيطات من نعم كثيرة وأفضال وفيرة قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ سورة النحل

■ أضف إلى ذلك نعمة هدوء الأرض وثباتها بما فيها قال تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم﴾ سورة النحل ١٥.

■ ونعم الله كثيرة لا يعدها عاد ولا يحصرها حاصر قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾ سورة النحل ١٨.

فتأمل أخي كيف زوّد الله ﷻ هذا الإنسان بكل الوسائل التي تعينه على تحقيق هدفه والقيام بواجبه (الاستخلاف في الأرض وعمارتها) لكن وفق منهج الله ﷻ الذي حمّلنا هذه الأمانة قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ آخر سورة الأحزاب .

الإنسان جسدٌ وروح

(١) الجانب المادي (الجسم): وهو الأعضاء المعروفة التي يتكون منها قالب الإنسان وأجزاؤه الداخلية والخارجية، هذا الجسم ليعيش عليه أن يأكل ويشرب ويلبس ويسكن وليبقى نوعه عليه أن يتزوج وليحصل الإنسان على ما كتب له من

هذه الأشياء وجب عليه أن يعمل ويكتسب بشرط ألا يشغله هذا العمل عن عبادة الله وطاعته قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ سورة المنافقون ٩.

(٢) الجانب الروحي (القلب والعقل والنفس): فالروح لا يعرف حقيقته إلا الله قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ سورة الإسراء ٨٥ لكن من آثار الروح الحياة التي تسري في الجسد وتحركه ومما يشمله الجانب الروحي:

- القلب: وهو ملك الأعضاء وسيدها صلاحه صلاح للأعضاء وفساده فساد لها قال ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) وعلمنا أن نحافظ عليه من الشبهات والشهوات لأنها تمرضه وإن زادت أماتته ولا ينجو بين يدي الله يوم القيامة إلا من حافظ على سلامة قلبه قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ المؤمنون ٨٨-٨٩.
- العقل: وهو المستشار الأول للقلب ويجب أن يغذى بالعلم والمعرفة، والعقل إن استعمله الإنسان في الفهم والتأمل لنصوص الوحي وآيات الله المبتوثة في الكون وصل إلى الصواب وفهم الخطاب والقلب إن مال إلى مشورة العقل السليم فيما لا نص فيه اهتدى.
- النفس: وهي المستشارة الثانية للقلب وعلى الإنسان أن يطهرها بنهيها عن الغي والهوى قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى﴾ سورة النازعات ٤٠-٤١ وقال عز وجل: ﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دساها﴾ سورة الشمس ٧-١٠ والقلب إن مال إلى مشورة هوى

النفس "الأمارة بالسوء" ضل وغوى، لأن النفس لها أحوال ثلاثة ^(١) فيما يتعلق بتعاملها مع الخير والشر، فهي تكون في أول الأمر:

○ أمارة بالسوء: تأمر بالشر وتنهى عن الخير فإن جاهدتها المؤمن، وصبر على مخالفة هواها، صارت:

○ لؤامة: لها وجه إلى "المطمئنة" ووجه إلى الأمارة، ويمكن أن نميز فيها بين مرحلتين: ففي مرحلتها الأولى: تكون "لؤامة" على فعل الخير، ولكنها مغلوبة عليه بصدق صاحبها في إرادته، وقوته في مجاهدته، ولكنه لا يزال يعاني مع نفسه، ويجاهدتها، ويصبرها وفي مرحلتها الثانية: تكون "لؤامة" لصاحبها على فعل الشر، أو التقصير في الخير، وبذلك تنهياً لدخول مقام:

○ المطمئنة: وهي التي تأمر بالخير وتستلذه وتأنس به، وتنهى عن الشر، وتنفر عنه، وتنفر منه وكل ذلك تجد شواهد وأدلة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وصاحب النفس المطمئنة، يعظم تعجبه من إغراض الناس عن الطاعات، مع ما فيها من الأُنس واللذة، ومن إقبالهم على المعاصي مع ما فيها من الغم والوحشة والمرارة، فليذكر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٢) .

(١) أحوال النفس ملخصة من كتيب المنهج القويم للشيخ عبد المجيد البنانوني

(٢) النساء/94/

شروط التكليف

لا يصير الإنسان مكلفاً بالشريعة أو مسؤولاً عن تصرفاته أمام الله ﷻ إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية:

(١) القدرة أو الطاقة: لأنه لا يكلف الله نفساً إلا بما تستطيع فإذا عجزت سقط عنها التكليف ودخلت النفس في طور آخر يسمى طور الرخصة بعد أن كانت في طور التكليف والعزيمة قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ البقرة ٢٨٦.

(٢) الاختيار: فلا يحاسب الإنسان عن تصرفاته إلا إذا كان مختاراً أما إذا أجبر وأكره على فعل شيء هو غير مؤمن به فإنه غير مجزي به ولا مسؤول عنه قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ النحل ١٠٦ وقال ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) لكن عليه أن يهاجر من بلد لا يستطيع فيه أن يقوم بشعائر دينه ويجبر فيه على انتهاك الحرمات والتعدي على الحدود وهو لا يقدر أن يدافع عن نفسه أو يصمد أمام هذه الظروف فأرض الله واسعة ويعتبر فاراً بدينه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

(٣) اكتمال الأهلية: ونقصد باكتمال الأهلية النضوج العقلي والعمري للشخص فلا يؤخذ بأعماله الصبي الذي لم يبلغ الحلم ولا المجنون الذي لا يعقل ما يفعل قال ﷺ: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل).

علامات البلوغ

- تمام خمس عشرة سنة في الذكر والأنثى.
 - الاحتلام للذكر والأنثى.
 - إنبات شعر العانة (الشعر الذي حول القبل) في الذكر والأنثى.
 - الحيض في الأنثى.
- ٤) وصول الرسالة: سواء عن طريق الأنبياء والرسل أو عن طريق أتباعهم من العلماء والدعاة أو عن طريق السماع بهذا الدين من أي جهة كانت قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الإسراء ١٥.



المبحث الثالث (الدنيا)

- خلق الله ﷻ الإنسان في الجنة ليكون خليفة في الأرض يعمرها وهو يعبرها وفق سنن الله الكونية والشرعية قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة ٣٠.
- فإن عاش فيها متبعاً لأوامر ربه ﷻ مجتنباً نواهيه عاش مهتدياً مستنيراً، مرتاحاً مطمئناً، لأنه في حفظ الله ورعايته يوفقه للصواب، ويشرح صدره، ويعينه على التعامل الصحيح مع متطلبات الحياة وتقلباتها، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه - الآية ١٢٣ وأما من عاش في هذه الدنيا مستجيباً للشيطان، متبعاً هواه، معرضاً عن الله، فسيعيش في حيرة واضطراب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾ طه - الآية ١٢٤
- هذا ولكل شخص في هذه الحياة مستقر ومتاع إلى أن يأتيه أجله فينتقل إلى ربه لا يستأخر ساعة ولا يتقدم قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ البقرة - الآية ٣٦ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف الآية ٣٤
- وهكذا يبقى من مات في البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون ١٠٠
- عند قيام الساعة تغنى الأشياء وتهلك الأحياء، ولا يبقى إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن ٢٦ - ٢٧ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ ۖ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص - الآية ٨٨

- بعد ذلك يحصل البعث ليرجع الناس إلى ربهم ﷻ ليشيب المحسنين، ويعاقب المسيئين، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ تُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة - الآية ٢٨ وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة الآية ٢٨١ كما سيأتي في المبحث الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله ...

الدنيا وبعض الحقائق

- الدنيا ميدان السباق وقاعة الامتحان ومكان الابتلاء قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١)
- الدنيا وسيلة لا بد منها ليستطيع الإنسان القيام بواجبه الأساسي المتمثل في عبادة الله على أكمل وجه قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)
- أن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب لأنها ليست مهمةً عنده قال تعالى: ﴿كُلًّا نَّمِدُّ هُوَ لَا وَهُوَ لَا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٣)
- كل ما في الدنيا من خير وشر، وعافية ومرض، وغنى وفقر، وقوة وضعف، وغير ذلك ابتلاء من الله قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ سورة الأنبياء ٣٥. ومعنى الابتلاء أن الله جعل ما على الأرض من خير وشر مما ذكرناه في الجسم والأهل والمال اختبار لهذا الإنسان فإن كان البلاء خيراً ونعمة فهل سيستخدم هذا الخير وهذه النعم وفق شريعة الله منفذاً فيها أوامر الله ومجتنباً

(١) الكهف (٧)

(٢) القصص (٧٧)

(٣) الإسراء الآية ٢٠، ٢١

نواهيهِ شاكراً لله ما أنعم عليه بالقول والعمل داعياً الله أن يديم عليه النعمة، وإن كان البلاء شراً في جسم أو أهل أو مال وغيرها فهل يتعامل الإنسان مع هذا البلاء كما يريد الله مؤدياً حقوقه صابراً ومحتسباً دون سخط أو جزع لاجئاً إلى الله أن يفرج عنه ما هو فيه وأن يمدّه باليقين والثبات على الدين عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) رواه مسلم. كل ذلك لأن الله تعالى هو الذي خلق وسوى وأعطى ومنع، فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا جميلاً وهذا قبيحاً وهذا مريضاً وهذا صحيحاً وهذا أسوداً وهذا أبيضاً وهذا طويلاً وهذا قصيراً وهذا ذكراً وهذا أنثى وهكذا قال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ الزخرف ٣٢.

■ من كان في هذه الدنيا سعيداً ماديّاً والسعادة في الدنيا نسبية فليست السعادة المادية دليلاً على قرب صاحبها من الله أو على حب الله له قال تعالى: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين، قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ سبأ - الآية ٣٥. ٣٧ فالسعيد الحقيقي هو الذي يتصرف فيما أعطاه الله وفق منهج الله كتاباً وسنة.

■ هي دار يتعب فيها الإنسان ويكدح ليستطيع العيش فيها، هذه طبيعتها وهكذا خلقها الله قال ﷻ: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ الانشقاق ٦ لكن الرابع من تعب تعباً يفيد يوم أن يرجع إلى ربه.

الدنيا مقابل الآخرة في القرآن والسنة (١)

قال رسول الله ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة في اليم، فليُنظر: بم يرجع) رواه مسلم هذه مقابلة بين الدنيا والآخرة، يتضح منها: أن الدنيا في مقابل الآخرة، هي بقدر ما يعلق بالأصبع من الماء، إذا أدخل في البحر، وأن الآخرة هو البحر كله فكم سيكون قدر الدنيا؟

١) مقابلة في الكمية (المدة الزمنية):

في نصوص القرآن الكريم نجد آيات تحدد مدة الدنيا تقديراً، يقول الله تعالى:

- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ النازعات الآية ٤٦
- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ الأحقاف ٣٥
- ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ يونس ٤٥

٢) مقابلة في الكيفية (الحال):

جاء وصف حال الدنيا في آيات عديدة، وأحاديث كثيرة نختار منها:

- قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۚ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الحديد - الآية ٢٠
- وقال ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر). رواه مسلم
- وقال رسول الله ﷺ: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها) رواه البخاري
- وقال ﷺ: (لغدوة أو راحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه

(١) من موضوع الدنيا مقابل الآخرة د: لطف الله عبد العظيم خوجة بتصرف يسير

٣) مقابلة في الحقيقة (الشرف والمنزلة):

في النصوص النبوية بيان لمنزلة الدنيا عند الله تعالى:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، داخلا من بعض العوالي، والناس كنفتيه، فمرّ بجدي ميت أسك، فتناوله وأخذه بأذنه، ثم قال: (أيكم يحب أن هذه له بدرهم؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، ما نصنع به؟ إنه لو كان حيا، كان عيبا فيه أنه أسك، قال: فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) رواه مسلم
- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ

نتائج المقابلة بين الدنيا والآخرة

- ما يعلق بالأصبع من ماء البحر شيء لا يذكر، وجناح البعوضة: لا شيء، الجدي الأسك الميت: لا شيء، كل هذه هي الدنيا، فالدنيا حقيقة، وكيفية، وكمية جميعها ومجموعها، مقابل الآخرة لا شيء يذكر، كالماء على الإصبع.
- فالدنيا لا تقابل الآخرة في شيء، إلا في شيء واحد، تكرم الله به على عباده، على جهة الفضل والإنعام، لا الاستحقاق؛ إذ جعل الدنيا مقابل الآخرة، مقابلة الثمن للسلعة، أي جعل الجنة من الآخرة سلعة، والدنيا ثمناً. إذا بذلت لله وحده، بالعمل الصالح، كانت ثمنا للجنة، قال تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ وقال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة» صحيح رواه الترمذي والحاكم وقوله ﷺ: (لن يُدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة) رواه البخاري فأين العمل

في مدته وقدره، مقابل جنة لا نهاية لمدتها، ولا نهاية لثوابها؟ فصح أن الجنة ليست مقابل العمل مقابلة عوض كالأجر، بل هو سبب، قال تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ فأدنى أهل الجنة منزلة، هو آخرهم دخولا، وآخر الناس خروجاً من النار، له عشرة أمثال ما لملك من ملوك الأرض فهذا من أهل المعاصي والذنوب، وله هذا؛ لأنه مات على العمل الصالح، فما مقدار عمله مقابل ثواب الله تعالى له؟ أضف إلى ذلك أمر آخر، وهو: أن الذي عمل الصالحات، إنما عملها لنفسه، فلا يضر الله بمعصيته، ولا ينفعه بطاعته، فكان ثواب الله له فضلا وكرما، فلو منعه منها لم يكن ظالما؛ لأن الملك كله له: قال تعالى: (يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي!، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي!، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيتها إياكم، فمن وجد خيرا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم وقال ﷺ: (لو أن الله عذب أهل سماوته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم) رواه أحمد صحيح الجامع الصغير وإن ننسى، فلن ننسى: أنه لولا إعانة الله تعالى لعبده، ما قدر على فعل طاعة.

بعد معرفة قدر الدنيا في الآخرة،

ندرك لم زهد النبي ﷺ وزهد أصحابه ﷺ فيها، وخوفهم، وحذرهم منها:

- عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ: (فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من آدم، حشوها ليف) قال: (ثم رفعت بصري في بيته، فو الله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر، غير أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله وكان متكئاً، فقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) رواه البخاري

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وقد نام على حصير، وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير، يقيك منه؟، فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة، ثم تركها وراح)، صحيح رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

- وقال ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء) رواه مسلم

- وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: (إني فرطكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) رواه البخاري

وقد اتبع الصحابة النهج النبوي في التعامل مع الدنيا، وآثارهم في هذا كثيرة جداً، ما من صحابي إلا وله موقف يحكى، فزهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والعشرة، وأمّهات المؤمنين أشهر من أن يذكر، فإجماعهم منعقد على ترك تعظيم الدنيا،

والإقبال على الآخرة، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل" رواه البخاري وبذلك حققوا أمرين اثنين، هما:

○ أولاً: قدموا ما قدم الله، وأخروا ما أخر الله.

○ ثانياً: غيروا وجه العالم إلى الإيمان بالله العظيم.

أما أنهم غيروا العالم، فهذا لا مرية فيه، وأما أن ذلك كان بإيمانهم بالله تعالى، وتقديمهم ما قدمه الله، وتأخيرهم ما أخره الله، فهذا أيضاً معلوم؛ لأنهم كانوا كذلك، فهذا حالهم لما كانوا ينشرون الإسلام في الأرض شرقاً وغرباً، ومن بعدهم لما غيروا الطريقة، توقف خط الفتوحات، ودب الضعف بمر القرون، حتى تأخرت الأمة، تأخرت يوم أن قدمت ما أخره الله، وأخرت ما قدمه الله.

مشكلة الموازنة في الاهتمام ما بين الدنيا والآخرة

بعد هذا العرض لمقام الدنيا من الآخرة، نواجه مشكلتين اثنتين، عويصة على الحل عند أكثر الناس، عصية على الترويض، الأولى: حب الدنيا. الثانية: الرهبانية.

❖ المشكلة الأولى: حب الدنيا: وهي الآفة، التي لم يسلم منها إلا القليل؛ لأن حب البقاء مركوز في النفس، وبه يتوقى الإنسان ما يكره، والموت مما يكره، لكن حب الدنيا يزيد على حب البقاء؛ إنه حب التمتع بلذاتها، والخوف من ذهابها، وهذا سبب الجبن والخوف، والهم والحزن، الذي كان يستعيز منها النبي ﷺ، وعلاجه طويل، وقد يحظى المرء بتوفيق الله، فيبرأ في ساعة، وهذا حظ عظيم، أما العلاج فطويل مع صبر لازم: وتفصيل هذا العلاج: أن يديم النظر فيما سبق من المقابلة بين الدنيا والآخرة؛ ليدرك فضل الآخرة، ولن يدركه

بمرة، ولا مرتين، ولا ثلاثة، بل بالدوام والمعاودة، والتكرار والمراجعة، مع الإلحاح بالدعاء: أن يفتح بصيرته، ويحبب إليه لقاءه، ويحبب إليه الزهد في الدنيا، مع اعتياد العمل الصالح، ومن النظر تفحص حال الزاهدين، ودراسته، وفهمه، وحفظه، فإنها موعظة حية، فمن جمع هذه الوسائل، فليس يبعد عن هذا الحظ العظيم.

❖ المشكلة الثانية: الرهبانية: وهي الإعراض التام عن الدنيا بالكلية، بتعريف الزهد أنه: ترك الدنيا والإعراض عنها جملة وتفصيلاً، كحال الزاهدين الذين آووا في الكهوف والغيران، وبنوا الصوامع، فاعتزلوا، وتبتلوا، فهؤلاء أخطئوا في معنى الزهد، فالزهد: أن تكون الدنيا في يدك، لا في قلبك، ولو ملكت مال قارون، وكيف يزهد وقد جمع مال قارون؟ بأن لا يجمعه بالحرص والشره، بل فضل من به عليه من غير سعي حثيث، فتح عليه أبواب الرزق كما فتح على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ثم مع ملكه هو متقلل من متاع الدنيا، غير مستغرق فيها، ولا يتميز بكثير ولا كبير عن عامة الناس، ولا يشابه أهل الترف، والبدخ، والرفاهية، قد اكتفى من متاع الدنيا بما لا يعرضه للدم، في مظهره وملبسه، ومسكنه، ومركبه، وأولاده، عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: "أتي عبد الرحمن بن عوف بطعام، وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة، وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن به، إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيبتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي، حتى ترك الطعام" رواه البخاري فالرهبانية في هذه الأمة قليل؛ لمشتقتها، ولأن تعاليم النبي ﷺ ضدها، ووجودها يضر.

العدل بين حب الدنيا والرهبانية

♦ لم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم يحبون الدنيا، ولم يكونوا رهبانيين، ومع ذلك كانوا؛ يأخذون من الدنيا إذا أقيمت، ما يحتاجون إليه، من: لباس وكساء، ومسكن وبيت، ومال ومتاع، لا يخرجون عن حد المباح، ويكفون إن كان ثمة شبهة، دع عنك المحرم.

♦ ولا يأبهون لها إن هي أدبرت، ولا يسعون خلفها حيثما، إلا بمقدار ما يحتاجون لحياتهم، وآخرتهم، فهم بين عمليين: أخذ، وترك، كالسيل إذا جرى، أخذ الناس منه ما يحتاجون لزرعهم، ورعيهم، وشربهم، فجعلوا لذلك شعبا وسدودا، فما زاد فتحوا له الأبواب ليمر، وتركوا له المجرى ليجري، خوفا من اجتماعه فيدمر، وإذا لم يجر لقلّة الأمطار، سعوا في تحصيله بالوسائل المتاحة، بالقدر الذي يحتاجون، من الأنهار والآبار، وما قد جمعوا قبل، فإذا حصلوا حاجتهم كفّوا، وأعرضوا عن الباقي، لما فيه من كلفة ومشقة بلا فائدة هكذا هي حالهم مع الدنيا.

♦ وبناء على ما تقدم نقول: إذا كان الناس يملكون عادة: مركبا لائقا، ولباسا حسنا، وطعاما طيبا، وهاتفًا، ومسكنا فيه كافة الحاجيات والضروريات، كآلة الغسل، والثلاجة، وآلة طبخ، وآلة تكييف ونحو ذلك، فملكهم لهذه الأشياء، وعنايتهم بها، واهتمامهم لفقدائها، لا يعد حبا للدنيا، ولا ينافي الزهد، فإن فاقدها كمن فقد الطعام والكساء في الزمن الماضي؛ لأن هذه ضروريات لا كماليات، والضروريات والحاجيات مقدرة بحالة العصر، والفقهاء يجيزون دفع الزكاة لمن فقد هذه الحاجيات، ويعدونه فقيرا أو مسكينا لذلك وعليه: فلا يلزم في الزهد اليوم، أن يعيش المرء كهية الناس في المدينة في عهد النبوة، ولا ما كان بعد ذلك، فإن ذلك كان نمط حياتهم

يوم ذاك، بل ليس مطلوباً أن يعيش كما عاشوا، فذلك مضر بنفسه وبدعوته،
لاختلاف الحال، إلا أن يكون في بيئة قريبة الحال من تلك البيئات القديمة
والله تعالى أعلم.

كيف يتعامل المؤمن مع الدنيا

لا يتمكن الإنسان من العيش بسلام إلا إذا مشى في هذه الدنيا للحصول على ما
كتبه الله له منها قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف - الآية ٣٢ لكن مع الالتزام بالضوابط الآتية:

(١) أن يسعى الإنسان في الأرض بالطرق المشروعة ليحصل على ما كتبه الله ﷻ له
فيها من الرزق وهذا يشمل أمرين:

الأول: أن يتعدى عن الحرام والشبهات لقوله تعالى: ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ
قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ المائدة - الآية ٤ وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۖ
وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ المائدة - الآية ٥
الثاني: ألا يجهد نفسه أثناء العمل لأن الدنيا لا تستحق ولأن الانشغال الزائد
بها يباعد الإنسان عن وظيفته الأساسية في هذه الحياة ومع ذلك لن يحصل إلا
نصيبه المقسم له منها قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا
فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك - الآية ١٥ قال ابن كثير:
أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع
المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره
الله لكم؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فالسعي في السبب لا ينافي

التوكل^(١) وقال الرسول ﷺ: (عليكم من العمل بما تطيقون) رواه البخاري وهذا في شأن العبادة فما بالك بالعمل للدنيا. وقال ﷺ: (ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة)^(٢)

(٢) ألا يتجاوز الحد في التمتع بالحلال بل لا بد من التوسط في كل شيء في حدود الشرع والاعتدال دون إسراف أو خيلاء أو بخل وتقتير لأن الإسراف إفراط في التمتع يوصل إلى الفخر والكبر ومن ثم الطغيان والبغي على خلق الله والتمرد على شرائع الله تعالى والبخل تفريط في هذه المتع وحرص زائد عليها يوصل إلى حرمان النفس من حقوقها ومنع لعطاء الله أن ينتفع به خلق الله قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^٣

(٣) ألا تشغله الدنيا الحلال والعمل لها عن ذكر الله تعالى الواجب (عبادته وطاعته) علماً وعملاً ودعوة، كأن تشغل عن تعلم الواجب من الأصول والأحكام، أو أن تشغل عن أداء الصلاة وغيرها من الأعمال، أو تصرفك عن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يستطاع، وغير ذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) تمة كلام ابن كثير: كما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة، أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول: إنه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: إنه سمع عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً" رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي: حسن صحيح. فأثبت لها رواها وغدوا لطلب الرزق، مع توكلها على الله، عز وجل، وهو المستخر المسير المسبب . ﴿وإليه النشور﴾ أي: المرجع يوم القيامة .

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش وروى ابن ماجه والحاكم والطبراني والبيهقي من حديث أبي حميد الساعدي أجملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر أجملوا في طلب الدنيا فإن الله قد تكفل بأرزاقكم. وصححه الألباني أيضا في صحيح الجامع.

(٣) الأعراف ٣١

الْخَاسِرُونَ﴾ المنافقون - الآية ٩ بل يجب أن تكون الدنيا وسيلة يستعان بها على طاعة الله وعبادته قال عز وجل: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص - الآية ٧٧

(٤) ألا تكون الدنيا أكبر الهم ومبلغ العلم وغاية الرغبة لها نكافح ومن أجلها نناضل وعليها نحيا وعليها نموت بل تكون تابعة للدين محكومة به خادمة له قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة - الآية ١٠ وقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة ٢٤

(٥) أن يرضى بما قسم الله ﷻ له منها ولا يشعر بالأسى عليها حين يكون نصيبه منها قليلا ولا يتمنى المزيد من زهرتها قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَهُمْ فِيهِ ۖ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(١) قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور) انتهى. وذكر الله بني إسرائيل في قصة قارون وذمهم لأنهم تمنوا ما معه من الزينة قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢) قال صاحب التفسير الوسيط: (خرج على

(١) طه - الآية ١٣١

(٢) القصص - الآية ٧٩

قومه في زينة عظيمة، وأبهة فخمة، فيها ما فيها من ألوان الرياش والخدم ... وأمام هذه الزينة الفخمة التي خرج فيها قارون، انقسم الناس إلى فريقين، فريق استهوته هذه الزينة، وتمنى أن يكون له مثلها، هؤلاء قالوا على سبيل التمني والانبهار: ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ من مال وزينة ورياش، إنه لذو حظ عظيم، ونصيب ضخم، من متاع الدنيا وزينتها. أما الفريق الثاني المتمثل في أصحاب الإيمان القوي، والعلم النافع، فقد قابلوا أصحاب هذا القول بالزجر والتعنيف) انتهى .

ومع ذلك فلا بأس أن يتمنى المؤمن الدنيا عندما يشعر بحاجة الدين والمجتمع للمال والقوة في هذه الحالة قد يتمناها لفعل الخير ونشر العدل ومساعدة المحتاجين كما فعل لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(١) وفي الحديث: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ)^(٢). والحسد هنا كما قال أهل العلم معناه التمني.

(١) هود - الآية ٨٠

(٢) متفق عليه

المبحث الرابع (الدين)

الدين هو الطريقة والمنهج الذي أنزله الله على عباده ليسيروا بناء على تعليماته وإرشاداته في كل مجالات الحياة ليفوزوا بالسعادة والهدى قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۚ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ طه ١٢٣-١٢٦

■ عندما أهبط الله تعالى آدم مع حواء عليهما السلام من الجنة إلى الأرض كانا على الدين الصحيح والطريقة القويمة وهكذا كان أولادهما من بعدهما حتى تأثر من تأثر بعد ذلك بوسوسة الشيطان وإغوائه فانحرف فاحتاج الناس حينها إلى من يردهم فبعث الله النبيين والمرسلين قال ﷺ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(١) ومعنى الآية كما قال المفسرون: كان الناس أمة واحدة أي على دين واحد وهو الإسلام فبعث الله النبيين أي بعد انحراف الناس ليردوهم إلى الصراط المستقيم.

■ لكل أمة رسول وفي كل قوم نذير قال ﷺ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾^(٢) وقال ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣)

■ وأحياناً يرسل الله ﷻ أكثر من رسول في منطقة واحدة قال ﷺ: ﴿وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾^(١)

(١) البقرة (٢١٣)

(٢) يونس (٤٧)

(٣) فاطر (٢٤)

- ختم الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٢) وقال ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣)
- من الأنبياء والرسل عليهم السلام من ذكر في القرآن الكريم ومنهم من لم يذكر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ﴾ وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدد الأنبياء والمرسلين: ((عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: "ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً"، وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه، قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسُل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً")). رواه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة
- يدعو كل نبي أو رسول قومه إلى عبادة الله وتقواه وطاعة أنبيائه ورسله قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرِي: الأول توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة. الثاني إصلاح السلوك والسير على هدى الله في كل مناحي الحياة.
- فأما توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة فقد دعا كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم إلى هذه المسألة قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٥) إذا فهي

(١) يس (١٣-١٤)

(٢) آل عمران (١٤٤)

(٣) الأحزاب (٤٠)

(٤) نوح (٣)

(٥) النحل (٣٦)

- عقيدة واحدة عند كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.
- وأما الشريعة التي يسرون عليها في حياتهم فتتفق في الأصول والقواعد العامة كما قال ﷺ: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ»^(١)
 - ونحن نعلم ما قرره علماء الأصول من أن الشرائع التي أنزلها الله تعالى أنزلها لجلب المصالح للعباد ودرأ المفاسد عنهم وقد جمع الله ﷻ أصول المصالح والمفاسد في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^(٢) ولذلك فإن الله ﷻ بين لنا في القرآن الكريم أصول المحرمات التي يتفق جميع الأنبياء والمرسلين عليها كما قال العلماء فقال ﷺ: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٣)
 - وأما تفاصيل الشريعة وفروع الأحكام فلكل نبي ورسول أو لكل مجموعة منهم شريعة مختلفة قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»^(٤)

(١) الشورى (١٣)

(٢) النحل (٩٠)

(٣) الأعراف (٣٣)

(٤) المائدة (٤٨)

■ والمؤمن الحق الذي لم ينحرف عن الصراط المستقيم يؤمن بكل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبكل ما أنزل عليهم قال ﷺ: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(١) لأن دينهم واحد وهو الإسلام كما تقرر آنفا قال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»^(٢) وقال تعالى: «قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٣)

■ محمد رسول الله ﷺ بشر به الأنبياء والرسل السابقون ووصفوه بأوصاف خلقية وخلقية لا تنطبق إلا عليه لذا أخبرنا الله ﷻ أن علماء اليهود والنصارى يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبنائهم فقال تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(٤) وهكذا بعثه الله ﷻ وخصه بخصائص منها أنه أرسله للعالمين قال سبحانه وتعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٥)

■ لذا وجب على كل من يريد أن يعود إلى الحق ويسلك الطريق المستقيم ويسير على دين الفطرة أن يؤمن به ويتبعه ولا عبدة لأحد باتباع غيره كائنا من كان لأن دينه الإسلام دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو النبي الخاتم به أكمل

(١) البقرة (٢٨٥)

(٢) آل عمران (١٩)

(٣) آل عمران (٨٤-٨٥)

(٤) البقرة (١٤٦)

(٥) الأنبياء (١٠٧)

الدين وتمت الرسالة قال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)

■ ولهذا آمن برسول الله ﷺ واتبعه الثلة الأولى من الأحبار والرهبان الذين عاصروه وأعلنوا لأقوامهم أنه النبي والرسول الخاتم الذي بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قال ﷺ عن أحد أكابر علماء اليهود عبد الله بن سلام ﷺ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) وقال ﷺ عن جماعة من النصارى وفدوا على رسول الله ﷺ ليروا ويسمعوا ما جاء به: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٣)

■ أما غيرهم ممن أعماهم التعصب واتبعوا أهوائهم وحرصوا على مصالح شخصية آنية كالزراعة على قومهم فقد استصعبوا أن يكون النبي الخاتم ﷺ من غيرهم من العرب لذا رفضوا وجحدوا مع علمهم يقينا أنه نبي آخر الزمان الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) أي أن أهل الكتاب "اليهود والنصارى" يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبنائهم لكنه الجحود والنكران نعوذ بالله من الخسران .

(١) المائدة (٣)

(٢) الأحقاف (١٠)

(٣) المائدة (٨٣)

(٤) الأنعام (٢٠)

خصائص الدين الحق^(١)

■ الأول: أن يكون الدين من عند الله أنزله بواسطة ملك من الملائكة على رسول من رسله ليبلغه إلى عباده، لأن الدين الحق هو دين الله، والله ﷻ هو الذي يدين ويحاسب الخلائق يوم القيامة على الدين الذي أنزله إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

■ الثاني: أن يدعو إلى أفراد الله ﷻ بالعبادة، وتحريم الشرك، وتحريم الوسائل المفضية إليه، لأن الدعوة إلى التوحيد هي أساس دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، وكل نبي قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون ٢٣ وعليه فإن أي دين اشتمل على الشرك وأشرك مع الله غيره فهو دين باطل ولو انتسب أصحابه إلى نبي من الأنبياء.

■ الثالث: أن يكون متفقاً مع الأصول التي دعت إليها الرسل من عبادة الله وحده، والدعوة إلى صراطه، وتحريم الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل النفس بغير حق، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ مَنْ إِمْلَاقٍ ۚ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام - الآية ١٥١ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا

(١) نقلاً عن كتاب الإسلام أصوله ومبادئه للدكتور محمد بن عبد الله السحيم بتصرف يسير

لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف - الآية ٣٣

■ الرابع: ألا يكون متناقضا ولا مختلفا بعضه مع البعض الآخر، فلا يأمر بأمر ثم ينقضه بأمر آخر، ولا يحرم شيئا ثم يبيح ما يماثله من غير علة، ولا يحرم أمرا أو يجيزه لفرقة ثم يحرمه على أخرى، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء الآية ٨٢

■ الخامس: أن يتضمن الدين ما يحفظ على الناس دينهم وأعراضهم وأموالهم وأنفسهم وذرياتهم بما يشرع من الأوامر والنواهي والزواجر والأخلاق التي تحفظ هذه الكليات الخمس.

■ السادس: أن يكون الدين رحمة للخلق من ظلم أنفسهم وظلم بعضهم لبعض، سواء أكان هذا الظلم بانتهاك الحقوق، أم بالاستبداد بالخيرات، أم بإضلال الأكابر للأصاغر، قال تعالى مخبرا عن الرحمة التي ضمنها التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ ۚ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ الأعراف - الآية ١٥٤ وقال عليه السلام مخبرا عن مبعث عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۚ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ مريم - الآية ٢١ وقال سبحانه عن القرآن الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء - الآية ٨٢

■ السابع: أن يتضمن الهداية إلى شرع الله، ودلالة الإنسان على مراد الله منه، وإخباره من أين أتى؟ وإلى أين المصير؟ قال تعالى مخبرا عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة آية ٤٤ وقال عز شأنه عن الإنجيل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة آية ٤٦ وقال جل ثناؤه عن القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ التوبة آية ٣٣ والدين الحق هو الذي يتضمن الهداية إلى شرع الله، ويحقق للنفس الأمن والطمأنينة، حيث يدفع

- عنها كل وسوسة، ويجب عن كل تساؤل، ويبين عن كل مشكل.
- الثامن: أن يدعو إلى مكارم الأخلاق والأفعال كالصدق والعدل والأمانة والحياء والعفاف والكرم، وينهى عن سيئها كعقوق الوالدين وقتل النفس وتحريم الفواحش والكذب والظلم والبغي والفجور.
- التاسع: أن يحقق السعادة لمن آمن به، قال تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ طه آية ١-٢ وأن يكون متفقا مع الفطرة السوية: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم آية ٣٠ لأن الدين الصحيح هو شرع الله، والعقل الصحيح هو خلق الله، ومحال أن يتناقض شرع الله وخلق الله.
- العاشر: أن يدل على الحق ويحذر من الباطل، ويرشد إلى الهدى وينفر من الضلال، وأن يدعو الناس إلى صراط مستقيم لا التواء فيه ولا اعوجاج، قال تعالى مخبرا عن الجن إنهم حينما سمعوا القرآن قال بعضهم لبعض: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأحقاف - الآية ٣٠ فلا يدعوهم إلى ما فيه شقاؤهم قال تعالى: ﴿طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ طه آية ١-٢ ولا يأمرهم بما فيه هلاكهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء آية ٢٩ ولا يفرق بين أتباعه بسبب الجنس أو اللون أو القبيلة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات - الآية ١٣ فالمعيار المعبر للفاضل في الدين الحق هو تقوى الله.

الدين أوامر ونواهي

■ أمر بالخير قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ النحل

آية ٩٠ هذا الأمر بالخير إما أن يكون:

○ واجبا والواجب ما طلب الشارع فعله طلبا جازما ويثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه.

○ مندوبا والمندوب ما طلب الشارع فعله طلبا غير جازم ويثاب الإنسان على فعله ولا يعاقب على تركه.

■ نهى عن الشر قال تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل آية ٩٠ هذا النهي عن الشر إما أن يكون:

○ محرما والمحرّم ما طلب الشارع تركه طلبا جازما ويثاب الإنسان على تركه ويعاقب على فعله.

○ مكروها والمكروه ما طلب الشارع تركه طلبا غير جازم ويثاب الإنسان على تركه ولا يعاقب على فعله.

■ ما ليس مأمورا به ولا منهيا عنه وهو:

○ المباح أو الجائز: والمباح ما خير الشارع بين فعله وتركه ولا يثاب الإنسان على فعله ولا يعاقب على تركه.

كيف عرفنا هذا الدين؟

عرفناه عن طريق الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب ٤٠ هذا النبي بعثه الله ﷺ:

■ لدعوة الناس إليه ﷺ وتبشير من آمن بالثواب (الجنة) وإنذار من كذب بالعقاب (النار) والشهادة عليهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ الأحزاب الآية ٤٥-٤٦

■ ليعلم الناس الكتاب (القرآن) والحكمة (السنة) قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ الجمعة آية ٢ فالكتاب هو القرآن الكريم الذي بين الله فيه كل شيء إما إجمالاً وإما تفصيلاً قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ النحل ٨٩ وأما السنة فهي الذكر الذي بين فيه النبي ﷺ ما أجمل في القرآن قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ النحل آية ٤٤ فما صح من السنة وثبت فهو ملزم كالقرآن قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ الحشر آية ٧.

■ فالقرآن والسنة هما مصدر التشريع وفيهما من المبادئ والقيم والقوانين والأحكام ما لو سار الناس على ضوئها لاهتدوا إلى ما فيه خيرهم وصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ وقال ﷺ: (تركتم فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي) رواه الحاكم (صحيح)

■ وهذه الرسالة المتمثلة في القرآن والسنة عالمية فليست مقتصرة على أمة بعينها

بل هي لكل الناس في كل زمان وفي كل أقطار الأرض قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سبا ٢٨ وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء ١٠٧.

من يقوم بواجب تبليغ الرسالة بعد وفاة الرسول ﷺ

(١) العلماء: والمراد بالعلماء هنا علماء الشريعة قرآنا وسنة الذين هم أشد الناس خشية لله قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ فاطر ٢٨ وما كانوا كذلك إلا لأنهم ورثوا العلم عن النبي ﷺ القائل: (...) وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني. ولأنهم ورثوا العلم رفعهم الله وأعلى مكانتهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ المجادلة ١١ لذلك يجب على العلماء تعليم الناس أمور دينهم وتوضيح أحكامه لهم حكاما ومحكومين في حدود طاقتهم وإمكاناتهم قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ آل عمران ١٨٧ لأنهم لو كتموا البينات التي بينها الله وعلموها حلت عليهم لعنة الله والعياذ بالله قال تعالى: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ البقرة ١٥٩.

(٢) الأمراء: والمراد هنا حكام المسلمين وأولياء أمورهم، ووظيفتهم حراسة الدين وسياسة أمور الدنيا به قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة

الأمر» الحج آية ١٤، ولن يحرس الدين إلا بالرجوع إلى أهل العلم واستشارتهم فيما يهم من أمور الدنيا والدين قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ النساء ٥٩. ومعنى ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ أي إلى الكتاب والسنة، ولا يخفى أن أدري الناس بالكتاب والسنة هم العلماء الربانيون، لذا وجب على الجميع الرجوع إليهم .

٣) عامة المسلمين: قويهم وضعيفهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، كل بحسب طاقته وفي حدود قدراته قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ يوسف ١٠٨.

الدين يحقق مصالح العباد

للإنسان في هذه الحياة مصالح هذه المصالح إما أن تكون:

- ضرورة: وهي التي لا قيام لحياة الناس بدونها (الدين، النفس، العقل، النسل، المال) وأحكام هذه الشريعة (شريعة الإسلام) تحقق وتحفظ مصالح العباد الضرورية، فالدين لإقامته وتحقيقه شرعت العبادات وشرع لحفظه الجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس عقيدتهم، والنفس لإيجادها شرع النكاح ولحفظها شرع القصاص لمن يعتدي عليها وتحريم إلقاء النفس إلى التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها، والعقل شرع لحفظه تحريم الخمر والمخدرات وعقوبة شاربها، والنسل شرع لإيجاده الزواج وشرع لحفظه عقوبة الزنا والقتل وحرمة إجهاض المرأة الحامل، والمال لتحصيله شرعت أنواع المعاملات من بيع وشراء ودين ورهن ووكالة وهبة ووديعة

وشركات وغيرها وشرع لحفظه حرمة أكل الناس أموالهم بينهم بالباطل أو إتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفه وتحرير الربا والسرقة.

■ حاجيه: وهي التي يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ولكن يصيبهم ضيق وحرَج، والشرعة الغراء لتحقيق هذه المصالح الحاجية شرعت لها الرخص عند المشقة، وشرع الطلاق للخلاص من حياة زوجية لم تعد تطاق، وشرعت الدية في القتل الخطأ على عاقلة القاتل، وغير ذلك كثير.

■ تحسينية: وهي التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن النهج القويم السليم الذي تقضي به الفطر السليمة والعادات الكريمة، وأحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق هذه المصالح التحسينية شرعت الطهارة للبدن والثوب والمكان وستر العورة وأخذ الزينة عند كل مسجد والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه وخطبته على خطبة أخيه والنهي عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ في الحروب وغيرها كثير من الذوقيات الدقيقة التي شرعت في هذا الدين.

الدين نظام حياة شامل

هذا الدين نظام شامل يشمل كل شؤون الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ سورة المائدة آية ٣

❖ أولاً العقائد: وهي التي تتعلق بالأمور الغيبية ويجب على المكلف الإيمان بها كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومحل دراستها هو علم التوحيد المستمد من الكتاب والسنة.

❖ ثانيا العبادات: وهي التي تنظم علاقة المسلم بربه عزو جل كالأحكام المتعلقة بالصلاة والزكاة والصوم والحج والذبح والكفارات والذكر ونحوها ومحل دراستها هو علم الفقه المستمد من الكتاب والسنة.

❖ ثالثا الأخلاق: وهي التي تتصل بما يجب على المكلف أن يتحلى بها من الفضائل كالصدق والأمانة وكظم الغيظ والعفو عن الناس أو الرذائل التي يجب على المكلف الابتعاد عنها والفرار منها فرار الصحيح من الأجرب كالكذب والخيانة والنميمة والغيبة والكبر والعجب ونقض العهود وغيرها، ومحل دراستها هو علم الأخلاق (السلوك) المستمد من الكتاب والسنة

❖ رابعا المعاملات: وهي التي تنظم علاقة المكلفين بعضهم ببعض سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو أمما ومحل دراستها علم الفقه المستمد من الكتاب والسنة والمعاملات تشمل ما يلي:

◆ الأحكام الشخصية: وهي التي تتعلق بتنظيم حياة الأسرة من نكاح وطلاق وحقوق بين الزوجين وعدة وحضانة ونسب وميراث ووصية ونحو ذلك.

◆ الأحكام المدنية: وهي التي تنظم علاقات الأفراد المالية وعقودهم كالباع والإجارة والرهن والكفالة والحوالة والشركة والوكالة وغير ذلك من المعاملات المالية التي تجري بين الأفراد في المجتمع.

◆ الأحكام القضائية: وهي التي تنظم تحقيق العدالة في المجتمع وإحقاق الحقوق ومنع الاعتداء على حقوق الآخرين كالأحكام المتعلقة بالقضاء والشهادة واليمين وكتابة الدين.

◆ الأحكام الدستورية: وهي التي تنظم علاقة الحاكم بالمحكوم وتبين حقوق كل جانب وواجباته وتقرر حقوق الفرد والجماعة داخل المجتمع.

◆ الأحكام الاقتصادية: وهي التي تنظم العلاقات المالية بين الدولة والأفراد وبين الأغنياء والفقراء وتحدد موارد الدولة ومصارفها كالزكاة والصدقة

والغنيمة والفبيء ونحوها.

- ♦ الأحكام الجنائية: وهي التي تتصل بالجرائم التي تصدر من الأفراد والجماعات داخل المجتمع كجريمة القتل والزنا وشرب الخمر والردة والحرابة وما يترتب عليها من عقوبات يستحقونها بسبب ارتكابهم لهذه الجرائم محافظة على حياة الناس ودينهم وأعراضهم وأموالهم وأمنهم.
- ♦ الأحكام الدولية: وهي التي تتعلق بتنظيم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم والحرب كالدعوة والجهاد والمعاهدات والصلح وغيره.

واجبنا نحو الدين

قال العلماء يجب على المسلم نحو الدين أربعة أشياء:

- (١) العلم به: ونقصد بالعلم به العلم بأصوله الثلاثة: العلم بالله، العلم برسول الله، العلم بدين الله، هذه الأصول من عرفها ثم عمل بمقتضى المعرفة ذاق طعم الإيمان عن العباس ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً) رواه مسلم. هذه الأصول التي سيسأل عنها الإنسان في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ إذا فالعلم أولاً قبل العمل قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ محمد ١٩ لأنه بالعلم يعلم الحلال من الحرام والحق من الباطل والسنة من البدعة والصحيح من الفاسد في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات. والعلم بالدين ينقسم على قسمين:

- أ- قسم يجب على كل مسلم ومسلمة وهو العلم بما يجب فعله والعمل به من حقوق الخالق والمخلوقين، كتعلم أصول الدين وضروريات طريق الآخرة، وتعلم الصلاة، والزكاة لمن عليه زكاة، وتعلم الصوم، والحج للقادر، وكذا تعلم أحكام الزواج قبل الزواج،

وهكذا سائر العبادات والمعاملات إذا لزمك فعلها وجب عليك العلم بها قبل الشروع في العمل.

ب- قسم يجب على البعض الكافي ممن تصدر لهذا المجال وهو التوسع في معرفة الأصول والأحكام.

(٢) العمل به: يعني العمل بالدين كله (عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً) لأن العمل ثمرة للعلم والإيمان، فلا فائدة للعلم بلا عمل، ولا للإيمان بدون استقامة، فالعلم يقوي العقيدة، والعقيدة أساس العبادة، والعبادة تقوّم السلوك وتهذب الأخلاق، قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ سورة التوبة

(٣) الدعوة إليه: يعني إلى الدين كله (عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقاً) لأنه لا يمكن لفرد ولا لمجتمع أن يحافظ على علمه النافع وعمله الصالح إلا بالدعوة إلى الخير ونشره وتعليمه والتعاون عليه، وكذا محاربة الشر والفساد والرذيلة وهذا هو السبيل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ والدعوة إلى الله لازمة على العلماء أولاً ثم الأمراء ثانياً ثم عامة الناس لكن بعلم وبصيرة قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ والدعوة في كل مراحلها الفردية والجماعية تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وإظهار الحجة وتقديم الدليل قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ النحل ١٢٥ ولكي تسهل المهمة وتيسر العملية كان لا بد من التعاون والتكاتف على نشر الخير قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ المائدة ٢.

٤) الصبر عليه: لأن العلم والعمل والدعوة كل هذه الأمور تحتاج إلى صبر والصبر: إما بدني كتحمل المشاق بالبدن، وإما نفسي عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى، وهو سلاح يستخدم في كل معركة يخوضها الإنسان في ميادين الحياة المختلفة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣ والصبر ينقسم على ثلاثة أقسام هي:

أ- صبر على الطاعات، والطاعات كل ما أمر الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ لأن النفس بطبعها تنفر عن التكليف، ثم إن من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ سورة مريم

ب- صبر عن المعاصي لأن النفس بتزيين الشيطان تميل إلى الهوى لذا يحتاج المؤمن إلى صبر حين يضبط لسانه عن الزلل وعينه عن النظر للحرام وأذنه عن السماع ويده عن البطش والأذى ورجله عن المشي إلى المحظور وبطنه عن أكل الحرام وفرجه عن الفاحشة وهكذا قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل ١٢٧.

ت- صبر على المصائب والنوازل وهي ما لا يدخل تحت الاختيار مثل موت حبيب أو هلاك مال أو زوال صحة وغيرها من البلاء قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة

مراتب الدين (١)

لهذا الدين مراتب ثلاث ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور وهي:

المرتبة الأولى: الإسلام:

وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هذا إن ذكرت لفظة الإسلام وحدها أما إن قرن ذكرها بالإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام فإن الإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة وإذا خلا القلب من التصديق الذي هو أصل الإيمان كان إسلام صاحبه مما تثبت به عصمة المال والدم وأحكام الدنيا دون أحكام الآخرة كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ في قوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى) رواه البخاري ومسلم. لكن هذه الأعمال الظاهرة بغير تصديق وإقرار قلبي نفاق مجرد لأن الإسلام الحقيقي تصديق وقول وعمل يتفاضل فيه المسلمون بالزيادة والنقص، وكل ما تقدم متعلق بحق الله، أما ما يتعلق بحق الناس فيكفي فيه ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه).

(١) استفتدت بعض الأمور في هذا الباب من كتاب مقدمة في فقه أصول الدعوة لأحمد سلام

أركان الإسلام

❖ الركن الأول: الشهادتان: شهادة ألا إله إلا الله ومعناها: لا معبود بحق إلا الله لأن كل ما عبد من دونه من إنس أو جن أو شمس أو قمر أو حيوان أو صنم أو غير ذلك فقد عبد بدون حق، من أجل ذلك كان الشرك ظلما عظيما قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ لقمان ١٣، وشهادة أن محمدا رسول الله ﷺ: له علينا حق الطاعة والإتباع قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ آخر سورة الكهف فكلامه وحي من الله تعالى قال عز وجل: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى﴾ النجم آية ٣- ٥. وأفعاله مثال عملي يقتدى به قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ الأحزاب ٢١.

❖ الركن الثاني: إقامة الصلاة: وهي عبادة مخصوصة ذات شروط وأركان وسنن تجب على المسلم في اليوم واللييلة خمس مرات مفتاحها الطهارة للثوب والبدن والمكان، والطهارة من الأحداث وتحريمها التكبير، ولا بد من الخشوع وحضور القلب فيها قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ البقرة ٢٣٨ وذكر الله فيها كالروح في الجسد قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ العنكبوت ٥٤ فهي تبتدئ بطهارة الجسد وتنتهي بطهارة الروح والنفس فمن أداها بحقها كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يؤدها لم يكن له عند الله عهد قال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحققهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن

فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة^(١) هذه الفريضة ترى كيفيتها في كتب الفقه وكذا الرواتب والسنن وسائر النوافل المتعلقة بها.

❖ الركن الثالث: إيتاء الزكاة: وهي عبادة مالية تجب في كل صنف من أصناف المال على الصحيح إذا بلغ نصابا وحال عليه الحول وتؤخذ من أموال الأغنياء لتصرف في مصارفها المذكورة في القرآن الكريم ومن الزكاة ما لا يعتبر في وجوبه نصاب ولا حول ولا يقدر بنسبة أو عدد إنما يرجع أمره إلى وجود فقراء ومساكين أو أراامل أو أيتام لا مال لهم يقيم أصلا بهم ويستتر عوراتهم ويسد حاجاتهم الضرورية فيجب على من وجد فضلا من مال أن يعود به على من لا مال له ممن أسلفنا وقد فرض الله الزكاة نماء وطهارة فهي نماء للمال وبركة فيه وهي طهارة لنفس الغني من البخل وشدة الحرص وطهارة لنفس الفقير من الكراهية والحسد قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ التوبة ١٠٣ وللتوسع ينظر في كتب الفقه

❖ الركن الرابع: صوم رمضان: والصوم هو الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الصادق وحتى مغيب الشمس بنية عبادة الله وطاعته في الفريضة والنافلة، وقد فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام والصيام عبادة وتقرب إلى الله وتربية للإرادة وتركية للأخلاق وضبط لجماع النفس وتصحيح للمسار ومراجعة عملية للحساب وترسيخ للتكافل والتعاون واستكمال للإعداد قال ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة ١٨٣ والصيام فرضه ونفله ينظر في كتب الفقه.

(١) رواه مالك واحمد وابو داوود وغيرهم انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٣٢٤٣)

❖ الركن الخامس: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا: ويجب مرة في العمر وهو عبادة جامعة لأنواع العبادات فهو عبادة شعائرية بما فيه من ذكر وتلبية وسعي وطواف ورمي، وهو عبادة مالية بما يوجبه من إنفاق وهو يشارك الصوم في تربية الأخلاق وتعليم الصبر بما يتضمنه من سفر ومكابدة وصبر عن الرفث والفسوق والجدال بالباطل ويشارك الصلاة في إرساء وتنمية معاني الوحدة والاجتماع قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ آل عمران ٩٧.

المرتبة الثانية: الإيمان:

إن ذكرت لفظة الإيمان وحدها فهي اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والإيمان شامل لكل أنواع الطاعات وأبواب الخيرات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) رواه مسلم. وإذا اجتمعت لفظة الإسلام والإيمان في موضع واحد قصد بالإيمان الاعتقاد والتصديق بالقلب "أركان الإيمان" وقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة "أركان الإسلام".

أركان الإيمان

لِلإِيمَان أَرْكَانُ سِتَّةٌ مِنْ كُفْرِ بَرَكُنٍ مِنْهَا كَانَ كَافِرًا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء ١٣٦.

❖ الركن الأول: الإيمان بالله: ^(١) ويعني التصديق الجازم بكل ما جاء عن الله تعالى في كتابه الكريم وفي سنة رسوله ﷺ المطهرة.

❖ الركن الثاني: الإيمان بالملائكة: والملائكة هم عباد الله خلقوا من نور لما روى مسلم وأحمد أن النبي ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)، لهم أجنحة قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِثْنَى وَثَلَاثٍ وَرِبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر ١ وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وللملائكة القدرة على أن يتمثلوا في صورة البشر بإذن الله قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ سورة مريم آية ١٧ وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي نحن بصددده أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من الصحابة رضي الله عنهم أحد، وللملائكة أعمال كثيرة منها: تنفيذ أوامر الله قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦. ومن أعمالهم إيصال الرسالة من السماء إلى الأنبياء والمرسلين كما كان جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء ١٩٣ - ١٩٤، ومن أعمالهم مناصرة أولياء الله في حلق الذكر كما في حديث (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسون بينهم إلا نزلت

(١) انظر المبحث الأول

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة (...). ومن أعمالهم مؤازرة المؤمنين في ساحات القتال قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال ١٢. ومن أعمالهم تسجيل أعمال الناس خيرها وشرها قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ سورة الانفطار آية ١١.

❖ الركن الثالث: الإيمان بالكتب: ويقصد بها الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسوله من البشر وحملت إليهم دعوة التوحيد الخالص ومنهج الحياة الراشد وأعظم هذه الكتب هي:

○ القرآن الكريم قال ﷺ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ آخِرَ الْكِتَابِ وَأَفْضَلُهَا وَهُوَ مُهِمَّنَ عَلَيْهَا وَنَاسَخَ لَجَمِيعِ شَرَائِعِهَا وَأَحْكَامِهَا قَالَ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة ٤٨.

○ التوراة والإنجيل قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ سورة آل عمران آية ٣ - ٤

○ الزبور قال ﷺ: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ الإسراء ٥٥

○ صحف إبراهيم وموسى قال ﷺ: ﴿إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ آخر سورة الأعلى.

❖ الركن الرابع: الإيمان بالرسول: والرسول هم أمناء الله على دينه في أرضه وهم الوساطة بينه وبين عباده وقد أرسل الله رسلا إلى الناس وبعث أنبياء منهم من قص علينا خبرهم ومنهم من لم يقصص أرسلهم الله تعالى: لدعوة الناس إليه سبحانه والسير على نهجه وشرعه وترك ما سواه مما لا ينفع ولا يضر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل ٣٦.

ولتبشير من آمن وإنذار من كفر وإقامة الحجة عليهم قال تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ النساء ١٦٥. ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيا ورسولا منهم أولو العزم، أما من لم يذكر فأشهر ما ورد في عددهم هو ما رواه أحمد وابن أبي حاتم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله كم الأنبياء قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمعا غفيرا. نؤمن بهم جميعا وبما جاءوا به قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ ، ومحمد صلوات الله عليه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين أكمل الله برسالته الدين وأتم النعمة قال تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

❖ الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر: ^(١) واليوم الآخر هو يوم القيامة والإيمان به يشمل الإيمان بالموت وما بعده من القبر وعذابه أو نعيمه وكذا أهوال القيامة ثم البعث والحشر ثم الكتب والميزان والصراط ثم الجنة والنار .

❖ الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره: ويعني الاعتقاد الجازم بأن كل شيء يقع في هذا الكون قضاء وقدره الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ^(٢)، وقدره الله ﷻ يعني: علمه منذ الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشأنه يعني سمح بوقوعه قضاء على وجه الاختيار أو الإيجاب، وخلقه يعني أوجد أسباب وقوعه وخلق القدرة على إنفاذها، وهذه الأربع: (العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق) تسمى عند أهل العلم "مراتب القضاء والقدر" وسنذكرها بشيء من التفصيل لما لها من أهمية في الصفحة التالية.

(١) انظر المبحث الأخير من هذا الكتاب

(٢) القمر - الآية ٤٩

مراتب القضاء والقدر

الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بأربعة أمور، من أقرّ بها جميعاً فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملاً، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، هي:

■ العلم: الإيمان بعلم الله الشامل فعلم الله محيط بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، سواء كان ذلك من فعله، أو من فعل مخلوقاته لأنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

■ الكتابة: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، فبدأ الله ﷻ بالعلم وقال أن ذلك في كتاب أي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ كما في قول رسول الله ﷺ: (أن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب ماذا أكتب؟ قال اكتب ما هو كائن فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) صحيح رواه أبو داود، والترمذي.

■ المشيئة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يمكن أن يقع شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كان ذلك من فعله، أو من فعل العباد^(١)، قال الله ﷻ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

■ الخلق: الإيمان بخلقه ﷻ لكل موجود، لا شريك له في خلقه قال تعالى:

(١) وقد ذكرت في الصفحة السابقة أن مشيئة الله تعني سماحه بوقوع الأشياء قضاء وقدرًا إما على وجه التخيير كما في الأمور الشرعية "الطاعات والمعاصي" أو على وجه الإجبار كما في الأمور الكونية

﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: ٦٢] وأما ما يتعلق بأفعال العباد، فإنه من المعروف أن أي شخص يحاسب عن فعله، إذا فعله عن إرادة جازمة، وقدرة كاملة، فهو من يختار الإيمان أو الكفر، البر أو الفجور، وهو من يفعل الطاعة أو المعصية، فكيف نقول أن فعله مخلوق لله ﷻ قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] نقول إن الله تعالى خالق لفعل العبد لأنه هو الذي خلق للعبد القدرة وهياً له الأسباب ومسبباتها وإمكان العبد أن يستخدم القدرة التي خلقها له الله والإرادة التي أعطاه الله في سلوك طريق الخير أو طريق الشر

المرتبة الثالثة: الإحسان

والإحسان أعلى مراتب الدين وأشرفها، لأن المحسن تحقق فيه كمال الإخلاص لله ﷻ وكمال المراقبة له ﷻ قال ﷺ في تعريف الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

من راقب الله حرص على إتقان عمله والإحسان إلى خلقه

لا شك أن من بلغ مرتبة مراقبة الله ﷻ يحرص كل الحرص على أن يتقن أعماله الدنيوية والأخروية، وعلى أن يحسن إلى خلق الله جميعا الذين كتب الله الإحسان إليهم كالوالدين والأقارب والجيران وسائر الأحياء والأشياء .

❖ الإحسان إلى الإنسان:

أقل مراتب الإحسان كف الأذى عنه، ولقياه بالبشاشة وخطابه بالكلمة الطيبة وقول المعروف، فلا سب ولا شتم ولا لعن ولا فحش ولا كذب ولا سخرية ولا استهزاء قال تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا﴾ الإسراء ٥٣ وقال تعالى: ﴿قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى﴾ ومن الإحسان المساعدة المادية بالمال كصدقة أو هدية أو هبة أو إقراض من يحتاج وإمهاله حتى يتوفر لديه ما يقضي به دينه بدون منّ ولا أذى قال تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ الإسراء ٣٦. وكذلك المساعدة المعنوية بالتوجيه والنصيحة وحسن المشورة وغير ذلك مما قد يكون أعظم وأنفع له من المال، أما أعلى مراتب الإحسان فهي أن تقابل الإساءة بالإحسان والقطع بالوصل والجهل بالحلم قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت ٣٤.

○ حقوق الوالدين:

١. طاعتهما في كل ما يأمران به أو ينهيان عنه مما ليس فيه مخالفة للشريعة أو ضرر محقق عليك قال تعالى: ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ لقمان ١٥ وقال ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقال: (إنما الطاعة في المعروف)
٢. توقيرهما وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما بالقول والفعل فلا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتيهما ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ولا يدعوهما باسميهما بل بيا أبي ويا أُمي قال تعالى: ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ الإسراء ٢٤
٣. برهما بكل ما تصل إليه يداه وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان كإطعامهما وكسوتهما وعلاج مريضهما ودفع الأذى عنهما وتقديم النفس فداء لهما قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ الإسراء ٢٣.
٤. صلة الرحم التي لا رحم له إلا من قبلهما والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما (جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقي على شيء من بر أبوي بعد موتهما ابرهما به؟ قال: نعم خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما) روى أبو داود نحوه باختلاف بين اللفظ ورواه ابن ماجه والحاكم.

○ حقوق الأولاد:

حسن اختيار الأم، واختيار الاسم الحسن، وذبح العقيقة عنه يوم سابعه وختانه، ورحمته والرفق به، والنفقة عليه وحسن تربيته والاهتمام بتثقيفه وتأديبه وتعليمه والعدل بينه وبين أخوته، وتمرينه على أداء فرائض الإسلام وسننه، حتى إذا بلغ زوجه ثم خيره بين أن يبقى تحت رعايته وبين أن يستقل بنفسه لينبي مجده بيده روى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ثم اخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك وأعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة). وفي المتفق عليه قال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته (...)).

○ حقوق الزوج: منها:

١. طاعته في غير معصية الله قال النبي ﷺ: (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) رواه الترمذي وقال حسن.
٢. ألا تعمل عملا يضيع عليه كمال الاستمتاع حتى ولو كان ذلك تطوعا بعبادة لقول النبي ﷺ: (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه) البخاري ومسلم.
٣. أن تحرص على رضاه فذلك سبب لدخولها الجنة قال ﷺ: (أَيُّمَا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) ابن ماجه والترمذي

○ حقوق الزوجة منها:

١. أن يقوم زوجها بواجب النفقة عليها من طعام وشراب وكسوة ومسكن وتوابع ذلك قال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ البقرة ٢٣٣.

٢. أن يعاشرها بالمعروف قال ﷺ: ﴿وعاشرهن بالمعروف﴾ النساء ١٩.

٣. أن يعدل بينها وبين ضررتها لقول النبي ﷺ: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) رواه احمد وأهل السنن

○ حقوق الأقارب والأرحام:

والأقارب هم كل من تتصل بهم من أصل كالأب والجد والأم والجددة أو فرع كالابن وابن الابن والبنات وأبناءها أو حواشي كالأخوة والأخوات والأعمام والعلمات والأخوال والخالات هؤلاء وغيرهم أمر الله بالإحسان إليهم قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى﴾ النساء ٣٦. والإحسان يكون ببذل المعونة والمساعدة بقدر الطاقة وبحسب ما تتطلبه الحاجة سواء كان ذلك بالمال إن توفر أو حتى بالمعاملة الطيبة وغيرها قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) رواه البخاري ومسلم.

○ حق الجار:

ويتمثل في الإحسان إليه بالكلمة والمال والجاه أو أي نفع آخر وكذا بكف الأذى عنه لقول الرسول ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) رواه مسلم.

○ حقوق المسلمين عموماً:

وهذه الحقوق كثيرة جداً منها ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (حق المسلم على المسلم ست إذا لقينته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا مستنصحك فانصحه وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه) رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه) رواه مسلم. فقم أخي بواجباتك وتنازل عن بعض حقوقك ولأن تلقى الله مظلوماً خير من أن تلقاه ظالماً.

❖ الإحسان إلى الحيوانات:

ولها حق الحياة والإحساس فان كانت مما يألف الإنسان وجب إطعامها وسقيها وألا تحمل فوق ما تطيق وألا يعتدى عليها بالضرب والتعذيب وألا تؤذى بقطع آذانها أو نشر قرونها وإن كانت مما يؤكل وجب الإحسان إليها عند ذبحها وذلك بحد الشفرة وسرعة إزهاق روحها وإخفائها عن أخواتها قال ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) رواه مسلم. أما إن كانت مما لا يألف الإنسان ولا يألفه الإنسان فلا يجوز الاعتداء عليها إلا إذا كانت مؤذية وضارة فلا بأس أن يتصرف معها الإنسان تصرفاً يدفع ضررها وإن تعذر دفع ضررها إلا بالقتل قتلها، وقد نهى رسول الله ﷺ في الحديث عن (قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد) ونهى عن (أن يتخذ ما فيه روح غرضاً) أي هدفاً للرمي كما في

المتفق عليه. والإحسان إلى الحيوان ندب إليه ديننا ورغب فيه ففي الحديث المتفق عليه: (أن رجلا دخل الجنة بسبب أنه سقى كلبا). وفي المتفق عليه أيضا: (أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض).

❖ الإحسان إلى الأشجار:

والإحسان إليها يكون بالاهتمام بها والمحافظة عليها للاستفادة منها خضرة وزينة وعطرا، أو ظلا وثمرا، أو علفا وخشبا وحبطا، ومن الإحسان إليها كف الأذى عنها فلا يقطعها ولا يؤذيها إلا لحاجة لأن لها حق الحياة قال ﷺ عن أنس رضي الله عنه: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر) ذكره علي بن عبد العزيز في المنتخب بإسناد حسن انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري. هذا إن كانت في ملكه أو ليست في ملك أحد أما إن كانت مملوكة فلا يجوز التصرف في شيء منها إلا بإذن صاحبها.

❖ الإحسان إلى الجمادات:

الجمادات من تراب وأحجار وغيرها إن كانت في ملكه استثمارها واستغلالها وحافظ عليها لأنها وسيلة له على الطاعات وإن كانت في ملك غيره فلا يحق له أن يتصرف فيها إلا بإذن أهلها.

المبحث الخامس (الشيطان)

■ بدأت العداوة بين الشيطان والإنسان حين أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس رفض السجود استكبارا فطرده الله من رحمته، فحقد على آدم وذريته وأقسم أنه لن يتركهم أبدا حتى يغويهم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قَالَ فَاهْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَعْثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيهِمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(١)

■ حذرنا الله من الشيطان وفتنته وأخبرنا أنه سبب خروج أبونا آدم وحواء من الجنة فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَآتَهُمَا ۚ إِنَّهُ يَرََاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢

■ والمصيبة أن الشيطان يغوي بني آدم ويفتنهم جيلا بعد جيل ولا يتعظون ولا يعتبرون قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^٣ أفلا نعقل ونخالف من يريد هلاكنا والانتقام منا.

(١) سورة ص آية ٧١ - ٨٣

(٢) الأعراف ٢٧

(٣) يس ٦٠ - ٦٢

- الشيطان يريد غواية بني آدم جميعا قال ﷺ: ﴿فِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^١
- وغايته من إغوائنا منعنا من الاستقامة حتى لا نرجع إلى الجنة التي أخرجنا الله منها أول مرة بسببه قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^٢
- من صفات الشيطان أنه لا يبأس ولا يتعب بل يستخدم كل الوسائل ويتحين كل الفرص ويأتي الناس من كل الجهات قال تعالى عن الشيطان أنه قال: ﴿ثُمَّ لَا يَنبَغِي لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۚ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^٣

من حيل الشيطان وأساليبه في إغواء بني آدم

الشيطان خبير ببني آدم فهو يعرفهم منذ البداية فخبرته بهم تمتد إلى آلاف السنين لذا فهو يعرف مداخلهم ومخارجهم ونقاط ضعفهم وقوتهم وبالتالي يأتيهم من حيث يستطيع التأثير فيهم وقد ذكر الله في القرآن بعض حيله التي يستخدمها لإغوائنا منها: -

◆ أنه يتدرج في إغوائه خطوة خطوة فلا يوسوس بترك الفرائض لمن يقوم بالنوافل ولا حتى بترك النوافل مباشرة إنما بالشروء فيها ثم بتأخيرها قليلا ثم بالتقليل منها تدريجيا، وكذا لا يوسوس بالوقوع في الكبائر مباشرة إنما بتزيين الصغائر وهكذا يتدرج حتى أن الإنسان لا يكاد يشعر به قال تعالى محذرا لنا منه: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) ص ٨٢ - ٨٣

(٢) فاطر ٦

(٣) الأعراف ١٧

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^١

♦ ومن حيله أنه يأتي على شكل ناصح يريد مصلحتك ويحلف لك الأيمان
المغلظة حتى يقنعك أن المصلحة في المعصية أو ترك الطاعة فتصدقه فتقع في
شباكه قال تعالى مذكرا لنا بما فعله إبليس مع أبينا آدم وأمنا حواء عليهما
السلام: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^٢ بعد أن قال لهما مادحا
الشجرة: ﴿هَلْ أَذُكُّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^٣

♦ ومن حيله أنه يزين السوء ويظهره على أنه حسن والباطل على أنه حق والمنكر
على أنه معروف وهكذا يلفق الأمور ويخدع النفوس الضعيفة بأباطيله المزيفة
حتى يصدقها الجاهل وينخدع به الغاوي قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^٤

♦ ومن حيله أنه يغفل الإنسان وينسيه الحق والصواب لحظة الإغواء قال تعالى:
﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾^٥

♦ ومن حيله في الوقعة بين الناس وغرس الأحقاد والضغائن أنه يستخدم كلمة
السوء ليهدم بها العلاقات ويفكك الروابط، فكم من كلمة سيئة قالها صاحبها
بدون قصد استعمالها الشيطان ففرق بين أخوين متحابين أو بين الزوجة وزوجها
أو الابن وأبيه بل بين القرية والقرية والدولة والدولة قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي

(١) النور ٢١

(٢) الأعراف ٢١

(٣) طه ١٢٠

(٤) العنكبوت ٣٨

(٥) الأنعام ٦٨

يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا^١

♦ ومن حيله أنه يرغب في المعصية وينفر عن الطاعة مستخدماً الأمانى والوعود
الباطلة ليؤمن الناس مكر الله تعالى قال تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ ۚ وَمَا يَعِدُّهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^٢﴾

♦ ومن حيله أنه يتحين وقوع الإنسان في معاصي كثيرة ليبت اليأس من رحمة الله
في صدره حتى يكفر فإذا كفر تبرأ منه قال تعالى: ﴿كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ^٣﴾

♦ ومن حيله أنه يخوف الإنسان من المستقبل ليضمن بقاء تعلقه بالدنيا قال تعالى:
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۚ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۚ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^٤﴾

^١ (الإسراء ٥٣)

^٢ (النساء - الآية ١٢٠)

^٣ (الحشر ١٦)

^٤ (البقرة ٢٦٨)

مصائد الشيطان

للشيطان شباك ينصبها في طريق الناس ليصيدهم بها فيكونوا من حزبه هي: -

(١) الجهل: فالشيطان يسعى لتجهيل الناس بربهم وحقيقة أنفسهم وقيمة الدنيا وذلك بث الشبهات والشكوك في القلوب ليتحكم فيها ويوجهها أينما أراد، فتضل الطريق وتنحرف عن السبيل المستقيم .

وللخلاص من هذه الشبكة الخطيرة على الإنسان أن يتسلح بالعلم بالله وبدينه وبرسوله حتى يصل إلى اليقين حينها لا يستطيع الشيطان والشياطين أن يفتحوا بجهلهم وجهالاتهم بابا للشبهات في قلب هذا المؤمن بل يكون إماما يهتدي بأمر الله ويهدي به مفتاحا للخير مغلاقا للشر بإذن الله.

(٢) الهوى: بهذا المفتاح (الهوى) يفتح الشيطان باب الشهوات في قلوب بني آدم فيدخل إليها ويشغلها بالتعلق بها لأن النفس مفطورة على حب المشتبهيات قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾^(١) لذلك يستغل الشيطان حب الإنسان لهذه الأشياء فيزينها في عينه ليتجاوز الحلال حتى يقع في المحذور، فلأن الرجل يميل إلى النساء يزين له الشيطان النظر إليهن والاستمتاع بكلامهن ثم الفكر والخواطر ثم يترجم هذا الفكر وهذه الخواطر والأمانى إلى واقع يبدأ بالكلام بين الجنسين وتنشأ العلاقة حتى يخطو إلى الفاحشة إن لم يتدارك نفسه من البداية ويحكم شرع الله القائل ﷻ: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾^(٢) فهى الله

(١) آل عمران ١٤

(٢) الإسراء ٣٢.

عن القرب من الزنا أي عن كل ما يكون سببا موصلا إليه من نظر وسماع وأماني
وخيالات هذا بالنسبة لشهوة الفرج، أما بالنسبة لشهوة البطن فلأن الإنسان
يميل إلى المال يأتي الشيطان فيزين له طريق الحصول على الأموال ولو بغير حق
فيندفع الإنسان المستجيب لإغواءات الشياطين المالية إلى جمع المال من
الحرام ناسيا أو متناسيا أنه لن يأخذ إلا ما كتب له متجاهلا أن ما يحصل عليه
من المال محقوق البركة حين يكون حراما إلا أنه يستمر في طريقه فيأخذ الرشوة
ويعتد أدوات اللهو الحرام أو يعمل في تجارة الخمر والمخدرات أو يشارك في
مسابقات اليانصيب أو يلعب ألعاب الميسر أو يسرق أو يأكل مال اليتيم أو
يأخذ مهر زوجته دون رضاها أو يمنع قريباته الإناث من ميراثهن المكتوب لهن
أو ينهب ويغتصب ويتصرف في أموال الناس بغير حق، المهم عنده أن يحصل
على المال، ومن خلال حب الإنسان للشهوات فإن الشيطان يعمل على إشعال
النزاعات والاختلافات على هذه الأشياء فيقع الاعتداء على الأعراض والأموال
والأرواح فيتحاسد الناس فيما بينهم ويمكر بعضهم ببعض حتى يصل بعضهم إلى
قتل أخيه من أجل شيء تافه من الدنيا.

وللخلاص من هذه الشبكة الخطيرة (شبكة الشهوات) على الإنسان أن يتحلى
بالصبر والعفة، والرضا والقناعة بما رزقه الله منها ثم يستعين بها على طاعة ربه
بتنفيذ أوامره واجتناب زواجه فما عند الله خير وأبقى لأن المؤمن يعلم أن الله
هو الذي قسم الأرزاق وسخر بعض الناس لبعض قال تعالى: ﴿أهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾^(١) لذلك
يسعى المؤمن إلى عمل ما يرفعه عند ربه ويكرمه عند مولاه عز وجل قال ﷺ:

(١) الزخرف ٣٢.

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾^(١)

إذا فالعلم الذي يوصل إلى اليقين والصبر هما الحل للخلاص من الشبهات والشهوات معا قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾^(٢)

٣) الغفلة: وهذا هو الحبل الثالث الذي يقيد به الشيطان بني آدم ليصدهم عن الله ﷻ فإنه إن لم يستطع أن يفتح باب الشبهات والشهوات جاءهم فأنساهم ذكر الله (وكل طاعة ذكر لله) فغفلوا ونسوا ومالوا إلى النوم والراحة والدعة والإكثار من المباح وخطوة خطوة حتى يقعوا في شبكة الشهوات ثم الشبهات قال تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾^(٣) من أجل ذلك كان لزاما على المؤمن ألا يأمن كيد عدوه بل عليه أن يتحصن بذكر الله عز وجل دائما وأبدا وعليه أن يخالف الشيطان ولا يتبع خطواته ولا يستجيب لوسوسته قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤) وإذا ما وقع في خطأ أو ارتكب ذنبا بادر بالرجوع والتوبة والإنابة إلى الله تعالى مهما كان الذنب قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥)

(١) الحجرات ٣١.

(٢) السجدة ٢٤.

(٣) المجادلة ١٩.

(٤) النور ٢١.

(٥) سورة الزمر.

أولياء الشيطان وحزبه

- من ابتعد عن ذكر الله وأعرض عن تعاليم الشرع قيض الله له قرينا من الشياطين يملئ عليه أفكارا تنتج عنها أقوال وأفعال سيئة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^١ أما من اعتمد على الله ونهى النفس عن الهوى فإن الشيطان لا يستطيع السيطرة عليه والتحكم فيه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^٢
- ومن جحد بالله وبرسوله وبدينه فإنه مصنف قرانيا على أنه من أولياء الشيطان الذين يناصرونهم ويعاونونهم لانعدام أو ضعف الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣
- ومن والى أعداء الله ورسوله ﷺ من الكفار وعاونهم وأحبهم فهو من حزب الشيطان قال تعالى: ﴿اسْتَخَوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۖ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^٤
- ومن قاتل في سبيل الطاغوت ومواجهها ومحاربا لمن يقاتل في سبيل الله فهو من أولياء الشيطان كما صرح الله سبحانه في كتابه الكريم فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^٥

^١ الزخرف ٣٦

^٢ النحل ١٠٠

^٣ الأعراف ٢٧

^٤ المجادلة ١٩

^٥ النساء ٧٦

كيف الخلاص من الشيطان؟

يكون الخلاص من الشيطان بالتسلح بالأسلحة الربانية الواقية من الشيطان ووسوسته والدافعة لكيدته التي سنستعرض بعضها مما ذكر منها في الكتاب العزيز وهي:

◆ اللجوء إلى الله تعالى حين يوسوس الشيطان بفعل محظور أو ترك مأمور وذلك بالاستعاذة بالله بصدق من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^١

◆ كثرة الدعاء بأن يرزقنا الله من فضله وأن يدخلنا في رحمته وأن يخلصنا من مكر ومكائد الشياطين قال تعالى: ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٢

◆ التسلح بالإيمان العميق والتوكل على الله ببذل الجهد في الاستقامة على دينه وذلك لن يأتي إلا بالعلم والصبر والمصابرة حينها لا يستطيع الشيطان ولا الشياطين التأثير في الإنسان قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^٣

◆ ترك أماكن السوء والخوض في الحرمات والابتعاد عنها وعن أهلها الضائعين الغافلين عن الله وعن اليوم الآخر لأن الجلوس فيها يعرض الإنسان لاستهداف الشيطان بحملات متكررة غرضها تغييله وتنويمه عن اليقظة التي هو فيها والإنسان ضعيف كائنا من كان إذا اجتمع عليه الأعداء من شياطين الإنس والجن قال تعالى: ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٤

١) فصلت ٣٦

٢) النساء ٨٣

٣) النحل ٩٩

٤) الأنعام ٦٨

♦ القول بالتي هي أحسن في كل الأحوال في الرضا والغضب في المزاح والجد مع الأحاب والأصحاب ومع الخصوم والأعداء لأن الشيطان يستخدم كلمة السوء ليهدم بها العلاقات ويفكك الروابط، لذا على الإنسان ألا ينطق إلا بالكلمة الطيبة الحسنة التي لا تحتمل إلا الخير خصوصا في حالة الغضب قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^١

المبحث السادس (الذنوب والمعاصي)

حقيقة الذنوب والمعاصي

١. ترك مأمور: أي عدم العمل بأمر ورد في الكتاب والسنة.

٢. فعل محظور: الإقدام على فعل نهى عنه الشرع

وكلاهما ينقسم:

باعتبار محله إلى:

١. ظاهر على الجوارح

٢. وباطن في القلوب

وباعتبار متعلقه إلى:

١. حق الله ﷻ

٢. وحق خلقه.

مداخل المعاصي

- اللحظات: وهي النظرات فعن طريق العينين يدخل إلى القلب ما يراه الإنسان من العورات وزينة الدنيا ومتاعها بعين الإعجاب فتحدث الشهوات وكذا النظر في كتابات وعلوم المنحرفين الضالين تورث في القلوب الشبهات، قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ وقال ﷺ: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾
- الخطرات: وهي ما يخطر على القلب من أفكار ووساوس تنتج عنها أقوال

وأفعال سيئة إن لم يتداركها الإنسان من البداية قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

■ اللفظات: وهي الكلمات التي يقولها الإنسان إذا لم ينضبط فيها فهي سبب للذنوب والآثام في حق الله وحق خلقه كالقول بغير علم والكذب على الله ورسوله وشهادة الزور والغيبة والنميمة والكذب والقذف والسب واللعن وغيرها من الآفات قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

■ الخطوات: وهي المشي في أو إلى ما من شأنه أن يعود بالضرر على الإنسان في دينه ودنياه مما يورث شهوة أو شبهة أو فسادا أو ضررا ولذا يقول العلماء من حفظ هذه الأربع فقد أحرز دينه.

تفاوت الذنوب والمعاصي

تختلف الذنوب وتفاوت فمنها ما يحبط العمل ويخرج صاحبه من الملة، ومنها ما هو كبائر، ومنها ما هو صغائر، وهذا ما سنتناوله فيما يلي:

❖ ما يحبط العمل ويوجب الخلود في النار مثل:

■ إنكار ما علم من الدين بالضرورة كإنكار وجود الله تعالى أو صفة من صفاته وإنكار الملائكة والنبين والمرسلين والجن والبعث والجزاء والقضاء والقدر وإنكار الكتب السماوية ومنها القرآن فإنكاره أو بعضه ولو كلمة كفر وكذا اعتقاد أنه ناقص أو أنه متناقض أو أنه غير معجز أو أنه لا يصح لهذا الزمان أو غير ذلك ويدخل في ذلك السنة النبوية لأنها وحي كذلك ومثل الإنكار

الشك.

- اعتقاد أن أحدا غير الله يشارك الله في ربوبيته (الخلق والرزق والضر والنفع والموت والحياة وغيرها) أو في ألوهيته وذلك بصرف شيء من العبادة لأحد من الخلق كائنا من كان (ملكا أو نبيا أو وليا أو غيره)
- إنكار فرضية ما فرض الله من الفرائض المجمع عليها كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ومكارم الأخلاق وبر الوالدين وصلة الرحم وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.
- استباحة ما أجمع المسلمون على تحريمه كالشرك والحكم بغير ما أنزل الله والقتل بغير حق والزنا وسائر الفواحش والسرقة والربا والسحر ومساوئ الأخلاق والخمر ولحم الخنزير والميتة وغيرها.
- اعتقاد حرمة ما أجمع المسلمون على حله من الطيبات.
- موالة الكافرين ومحبة دينهم أو الشك في كفرهم.
- ادعاء أن الوحي ينزل عليه أو اعتقاد أن هناك نبي أو رسول بعد محمد ﷺ، أو أن أحدا من الأولياء أفضل من الأنبياء أو أن أحدا يسعه أن لا يعمل بالشريعة.
- سب الله أو أحد من ملائكته ورسله أو قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أو تكفير من صرح القراء أو السنة الصحيحة بإسلامهم ودخولهم الجنة كتكفير الخلفاء الراشدين وأصحاب بيعة الرضوان أو الاستهزاء بالقرآن الكريم واعتماد إهوانته واحتقاره وكذا السنة الثابتة أو أي شعيرة من شعائر الإسلام أو مبدأ من مبادئه .
- السحر بعضه كفر باتفاق علماء الإسلام، وهو ما كان فيه اعتقاد أو قول أو عمل كفري.

❖ ومن الذنوب ما لا يوجب الخلود في النار: لكن بعضها يوجب العقوبة الشرعية وبعضها يوجب الكفارة الشرعية وصاحبها مسلم لا يكفر بفعلها إلا إذا استحلها فإن مات عليها فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وتسمى هذه الذنوب بالكبائر وهي التي اقترن بالنهي عنها وعيد من كفر أو فسق أو لعنة أو عذاب شديد أو نار أو حد من الحدود كالقتل والربا والتهاون في الصلاة والإفطار عمدا في رمضان واللواط والخمر والزنا والنميمة والغش والكبر وغيرها. قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ﴾ النساء ٣١.

❖ ومنها (الذنوب) ما لا يوجب عقوبة شرعية ولا كفارة: لكنها مخالفات محرمة ينبغي الحذر منها وتسمى بالصغائر وتكفرها الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود ١١٤. وقال رسول الله ﷺ: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهما إذا لم تغش الكبائر) رواه مسلم لكن لا ينبغي للمسلم أن يستهين بها قال ﷺ: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه). لكنها تصير كبائر بواحدة من ثلاث: "تكرارها والإصرار عليها، المجاهرة بها، احتقارها والاستهانة بها"

علاج الذنوب والمعاصي

من وقع في شيء من المعاصي التي ذكرناها سواء كانت مما يخرج من الملة، أو كانت كبائر، أو صغائر، وسواء كانت متعلقة بحقوق الخالق ﷻ أو بحقوق الخلق، وجب عليه أن يتحلل منها مباشرة، وذلك بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ، وطلب الصفح والغفران، ورد الحقوق إلى أهلها، وأداء الكفارات لمن يلزمه ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفرقان - الآية ٦٨ - ٧٠ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر ٥٣ وقال ﷻ: (إن الله ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم.

شروط التوبة الصحيحة

- الندم على ما فات.
- الإقلاع عن الذنب.
- العزم على عدم العودة.
- رد الحقوق إلى أهلها أو طلب الصفح.

المبحث السابع (الدار الآخرة)

الموت^(١) وما بعده

■ الموت مكتوب على الخلائق كلها قال ﷺ: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» (الواقعة، آية: ٦٠). فالله ﷻ قد كتب الآجال في كتاب عنده لا يزداد فيه ولا ينقص منه قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» (آل عمران، آية: ١٤٥).

■ ولا ينجو من الموت أحد كائنا من كان قال ﷻ: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (آل عمران، آية: ١٨٥)، وقال ﷻ: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» (العنكبوت، آية: ٥٧)، ولا بقاء إلا لله ﷻ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» (القصص، آية: ٨٨). ولو أمكن أن يسلم من الموت أحد لكان رسول الله ﷺ أولى الخلق بذلك قال تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» (الزمر، آية: ٣٠، ٣١).

■ والموت لا ينجي منه تحصن، ولا يدفع عنه حذر، قال تعالى: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» (النساء، آية: ٧٨). ولا يسلم منه

(١) الموت هو مفارقة الروح للجسد أما الأجساد فستنتهي وتحلل إلى أصلها (التراب) عدا عظمة واحدة هي عجب الذنب في أسفل فقرات العمود الفقري هذه العظمة تحتوي على كل مكونات الجسد قال ﷺ: (كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) رواه البخاري ومسلم إلا أجساد الأنبياء والشهداء وبعض الصالحين فإن الأرض لا تأكل أجسادهم قال ﷺ: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) رواه ابن ماجه وأبو داود وقال ابن العربي حديث حسن. وأما الأرواح فإما إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان في عليين وتلك الأرواح الطيبة وإما إلى غضب الله وعذابه في سجين وتلك الأرواح الخبيثة.

هارب إذا حان أجله مهما هرب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة، آية: ٨). لأن الفرار لا يزيد في الأعمار، ولا يؤخر في الآجال قال ﷺ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب، آية: ١٦).

حياة البرزخ (١)

- البرزخ: هي المرحلة التي تفصل هذه الدار عن دار القرار، من وقت الموت إلى البعث، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون، آية: ١٠٠).
- ومما ينبغي أن يُعلم أن مرحلة البرزخ فيها نعيم وفيها عذاب، لأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النيران، وقد دل على ثبوت عذاب القبر كثير من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام، آية: ٩٣). ففي قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، فالآية تبين أن الملائكة تأتي الكافر والفاجر حال الاحتضار وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة، آية: ١٠١)، قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ المرة الأولى

(١) للتوسع انظر كتاب الإيمان باليوم الآخر للدكتور علي محمد الصلابي

في الدنيا، من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: «ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ» وقال تعالى: «فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» (غافر: آية: ٤٥، ٤٦)، وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»

قيام الساعة

- الساعة آتية لا شك في ذلك قال تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» [غافر: ٥٩] . والساعة قريبة قال ﷺ: «اقتربت الساعة وأنشأ القيوم» [القمر: ١] ، وقد كان انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ، قد يقال: كيف يكون قريباً ما مضى على الإخبار بقرب وقوعه ألف وأربعمائة عام؟ والجواب أنه قريب في علم الله وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية تراه بعيداً «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا» [المعارج: ٦-٧]
- والأمر الذي ينبغي أن ينتبه إليه أن الباقي من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس) وفي لفظ: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس)
- ومع ذلك فلا يعلم أحد وقت قيام الساعة، قال ﷺ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ

وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال في الآية الأخرى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولعل الحكمة من إخفاء وقت وقوعها والله أعلم أن يبقى المؤمن مترقباً لها مستعداً بالأعمال الصالحة التي تشرفه عند الله يوم العرض عليه.

علامات الساعة (١)

❖ أولاً: العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت:

(بعثة النبي ﷺ، موت النبي ﷺ، انشقاق القمر، فتح بيت المقدس، طاعون عمواس، استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة، مقتل عثمان ؓ، الاقتتال بين طائفتين عظيمتين من المسلمين كما حدث في موقعتي الجمل والصفين، ظهور الخوارج، نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى)

❖ ثانياً: العلامات الصغرى التي وقعت، وقد يتكرر وقوعها:

ظهور مدعي النبوة، انتشار الأمن، قتال الترك، قتال العجم، ضياع الأمانة، قبض العلم وظهور الجهل، كثرة الشرط وأعوان الظلمة، انتشار الزنا، انتشار الربا، ظهور المعازف واستحلالها، كثرة شرب الخمر واستحلالها، زخرفة المساجد والتباهي بها، التطاول في البنيان، ولادة الأمة لربتها، كثرة القتل، تقارب الزمان، تقارب الأسواق، ظهور الشرك في هذه الأمة، ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار، تشبب المشيخة، كثرة الشح، كثرة التجارة، كثرة الزلازل، ظهور الخسف

(١) لكل علامة من علامات الساعة التي ذكرناها دليل صحيح أو أكثر من سنة النبي ﷺ لكننا لم نذكرها خشية الإطالة، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى الكتب الكبيرة.

والمسخ والقذف، ذهاب الصالحين، ارتفاع الاسافل، التحية للمعرفة، التماس العلم عند الاصاغر، ظهور الكاسيات العاريات، اتباع سنن الأمم الماضية، صدق رؤيا المؤمن، كثرة الكتابة وانتشارها، التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام، تسارع الزمان، تمني الموت من شدة البلاء، كثرة الكذب وعدم الثبوت في نقل الأخبار، كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق، كثرة النساء وقلة الرجال، كثرة موت الفجأة، وقوع التناكر بين الناس، كثرة المطر وقلة النبات، فتح القسطنطينية).

❖ ثالثاً: العلامات الصغرى التي لم تقع بعد:

(عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، حسر الفرات عن جبل من ذهب، كلام السباع والجمادات للإنسان، كثرة الروم وقتالهم للمسلمين، قتال اليهود في فلسطين ونطق الشجر والحجر، نفي المدينة لشرارها ثم خرابها في آخر الزمان، استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة، ظهور المهدي) .

❖ رابعاً: العلامات الكبرى: (١)

(الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وقوع ثلاثة خسوف، الدخان الذي يملأ الأرض، طلوع الشمس من مغربها، خروج الدابة التي تكلم الناس، نار تخرج من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم)

(١) عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تظرد الناس إلى محشرهم) رواه مسلم

النفخ في الصور

يأمر الله ﷻ إسماعيل عليه السلام فينفخ في الصور فتحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب فيفزع الخلائق ثم يصعقون وتقوم الساعة قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر، ٦٨)

أهوال يوم القيامة (١)

- يوم القيامة يوم عظيم أمره، شديد هوله، لا يلاقي العباد مثله، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]، وقد وصف الله ﷻ يوم القيامة بالثقل، ووصفه بالعسير قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الذهم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩-١٠]
- وقد أخبرنا الله ﷻ في القرآن عن أهوال ذلك اليوم التي تشده الناس، وتشد أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض والسماء، فالأرض تزلزل وتدك، والجبال تُسَيَّر وتنسف، والبحار تُفَجَّر وتُسَجَّر، والسماء تتشقق وتمور، والشمس تُكْوَر وتذهب، والقمر يخسف، والنجوم تنكدر ويذهب ضوءها، وينفطر عقدها، وهكذا لا يبقى شيء على حاله في الأرض والسماء قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ سورة إبراهيم آية ٤٨. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء ١٠٤

(١) انظر القيامة الكبرى للأشقر

البعث (١)

- بعد نفخة الصعق التي ينتهي بها الأحياء يمكث الناس أربعين لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال ﷺ: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت ..) رواه البخاري. وفي حديث آخر أن المدة أربعون عاما .
- ثم ينزل الله ماء فينبت الناس قال ﷺ: (ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد) رواه البخاري ومسلم.
- فإذا تهيات الأجسام وكملت نفخ في الصور النفخة الأخرى (نفخة البعث) قال تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ سورة الزمر فتزوج حينها الأرواح بالأجساد وذلك معنى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ التكويد ٧

الرد على من ينكر إمكانية البعث

- هناك من ينكر البعث ويعتقد باستحالته وهذا الإنكار كما أنه كفر وجحود بما أخبر به الله ﷻ هو كذلك حمق وسخف للأدلة المنطقية الكثيرة والتي منها:
- خلق الإنسان لأول مرة فالذي خلق الإنسان من العدم أولا من السهل عليه أن يعيد الخلق بعد فئائه قال تعالى: ﴿وَضَرْبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ سورة يس
 - خلق النباتات المختلفة فالذي يحيي الأرض القاحلة بقليل من المطر وينبت الأشجار والنباتات من السهل عليه أن يعيد الحياة إلى الناس قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى

(١) البعث هو إعادة المخلوقات بعد فئائها للحساب والجزاء

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف، آية: ٥٧). وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ* وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق، آية: ٩، ١١).

■ خلق السماوات والأرض فالذي خلقها وهي أعظم وأكبر من الإنسان البسيط لا شك قادر وبكل سهولة أن يحيي الموتى قال تعالى: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾ الأحقاف ٣٣.

■ البعث ضروري لإقامة العدل بين الخلائق والفصل في كل القضايا التي لم تفصل في الدنيا لأن أكثر الناس في الدنيا خالفوا منهج الله فوقع الظلم والقهر والاعتداء على الحقوق والتمرد على الفطرة فالله تعالى لم يخلق الناس عبثاً ولن يتركهم سدى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عِبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون، آية: ١١٥، ١١٦. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة، آية: ٣٦). فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى، ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله، فكل شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص، آية ٢٧). فلا بد من الفصل بين العباد ومحاسبتهم لينال المحسن جزاء إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته قال تعالى: ﴿... يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير﴾ الممتحنة ٣ وقال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ الأنبياء ٤٧. وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

النجم آية ٣١

الحشر والنشر والحساب

■ بعد قيام الناس من قبورهم يساقون إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلاً. فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال: لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) صحيح أخرجه النسائي وغيره

■ وهناك في أرض المحشر وما بعدها لا تنفع الأنساب ولا المراكز، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ المؤمنون، آية: ١٠١ وقال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم، آية: ٩٣، ٩٥).

■ بعد بعث الناس من قبورهم وحشرهم لأرض المحشر وحصول أهوال يوم القيامة وتبديل هذه الأرض وحشر الناس لأرض الحساب تنزل الملائكة صفوفاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان، آية: ٢٥). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ (النبا، آية: ٣٨، ٣٩) والمقصود بالروح جبريل ﷺ.

■ وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ويؤتى بصحف الأعمال وبالشهود ويبدأ الحساب، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر، آية: ٦٩، ٧٠).

■ فأما المؤمن فيعطى كتابه فيأخذه بيمينه وأما الفاجر والكافر فيعطى كتابه بشماله فيأخذه ويجعله وراء ظهره حرجا مما فيه من الفضائح قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ

* فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ
* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿الحاقة، آية: ١٩، ٣٢﴾. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا *
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ الانشقاق

■ بعد أن يأخذ كل واحد كتابه يتفاجأ بما يجده فيه من التفاصيل الدقيقة قال
تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا
مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف، آية: ٤٩).

■ وفي ذلك اليوم تسود وجوه الكافرين وتبيض وجوه المؤمنين قال تعالى: ﴿يَوْمَ
تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران، آية: ١٠٦). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ
الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر، آية: ٦٠).

■ بعد ذلك توزن الأعمال قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾
(الأنبياء، آية: ٤٧). فمن رجحت كفة حسناته فاز ومن رجحت كفة سيئاته خسر
قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾
(الأعراف، آية: ٨، ٩)..

- بعد الانتهاء من الحساب والميزان يمر كل واحد على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم، آية: ٧١، ٧٢.
- فأما المؤمنون فينطلقون على الصراط كلٌّ بقدر صلاحه واستقامته حتى ينتهون إلى الجنة فتلقاهم الملائكة مرحبة بهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٢)
- ثم يدخلون الجنة التي فيها من النعيم والسعادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)
- وأما الكفار والفجار فيساقون إلى النار بعد الحساب يكادون يموتون من العطش قال ﷺ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾^(٥) فإذا وصلوا بهم إلى النار سألتهم الملائكة ألم يأتكم نذير فيعرفون لكن لا ينفع الاعتراف قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ

(١) النحل (٣٢)

(٢) الزمر (٧٣)

(٣) الكهف ١٠٧، ١٠٨

(٤) السجدة (١٧)

(٥) مريم (٨٦)

كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا
لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١)

- ثم يأمر بهم الله جل وعلا إلى النار مغلولة أيديهم إلى أعناقهم قال ﷻ:
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾^(٢)
- وهناك في النار يتفاجئون بما أعدّه الله لهم من العذاب الأليم قال ﷻ: ﴿وَبَدَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٣)

الجنة والنار

أولاً: الجنة:

(وهي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعدّه الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) ثم قال الرسول ﷺ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] رواه البخاري وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير، لا يساوي شيئاً ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها). رواه البخاري ولذا كان دخول

(١) الملك (٨-١١)

(٢) الحاقة (٣٠-٣٧)

(٣) الزمر الآية ٤٧

الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، والنجاة العظمى قال ﷺ: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وقال ﷺ: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ٧٢] ، وقال أيضا: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ [النساء: ١٣] . (١)

أقل أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة:

في الحديث الذي أخرجه مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (سأل موسى عليه السلام ربه ﷻ ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: أدخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول ربي فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضى ربي فيقول: هذه لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولدت عينك فيقول رضى ربي، قال موسى عليه السلام: (رب فأعلاهم منزلة قال الله أولئك الذين أردت "غرست" كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ السجدة ١٧).

(١) انظر الجنة والنار للأشقر

الجنة نعيم شامل

- أنهار الجنة: في الجنة نهر من ماء غير آسن ونهر من عسل مصفى ونهر من اللبن لا يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين .
 - نساء الجنة: (الحدور العيون) وهي مطهرة من الحيض والنفاس، وكل قدر نساء الدنيا، مطهرة من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، مطهرة من الفحش والبذاء مطهرة من أن تطمع في غير زوجها .
 - بناء الجنة: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران .
 - أبواب الجنة: لها ثمانية أبواب وفيها باب اسمه الريان لا يدخله إلا الصائمون، وعرض الباب مسيرة الراكب السريع ثلاثة أيام ومن أبواب الجنة أيضا باب الصلاة لأهل الصلاة وباب الصدقة لأهل الصدقة .
 - درجاتها: فيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين الأرض والسماء، والفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة، ومن فوقها عرش الرحمن .
 - أشجار الجنة: فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها، وإن أشجارها دائمة العطاء قريبة دانية مذلة وقد ذكر منها شجرة طوبى .
 - خيام الجنة: فيها خيمة مجوفة من اللؤلؤ عرضها ستون ميل في كل زاوية فيها أهل يطوف عليهم المؤمن .
 - الجنة هي حياة أبدية لا نهائية فيها كل ما يتمناه الإنسان وكل ما يشتهيهِ بالإضافة لأشياء جديدة لم يشاهدها ولم يسمع بها الإنسان في الدنيا .
- عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا) رواه مسلم.

الزيادة على هذا النعيم

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله ﻋَﻠَﻴْﻬِﻢُ: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم) رواه مسلم.

ما يقوله أهل الجنة بعد هذا النعيم:

بعدها يقول أهل الجنة بلسان حالهم ومقالهم ما قاله الله عز وجل عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فاطر ٣٤ روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمة منه وفضل). ولكن ينبغي أن يُعلم أنه على قدر العمل الصالح وبذل الجهد الممكن في طريق الاستقامة والصلاح تكون رحمة الله عز وجل قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف ٥٦ وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٥٦، فأحسن العمل وأحسن الظن .

ثانياً النار:

هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه، ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظلمين من أنصار﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خلدأ فيها ذلك الخزي العظيم﴾ [التوبة: ٦٣] ، وقال: ﴿إن الخاسرين الذي خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ الزمر: ١٥. وكيف لا تكون النار كما وصفنا وفيها من العذاب والآلام والأحزان ما تعجز عن تسطيره أقلامنا، وعن وصفه ألسنتنا، وهي مع ذلك خالدة وأهلها فيها خالدون، ولذلك فإن الحق ﷻ أطال في ذم مقام أهل النار في النار قال تعالى: ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٦]، وقال ﷻ: ﴿هذا وإن للطغين لشر مثاب جهنم يصلونها فبئس المهاد﴾ [ص: ٥٥ - ٥٦]. ^(١) وقال تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ الفجر ٢٣ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها﴾.

(١) انظر الجنة والنار للأشقر

لمن أعد الله النار

- أعدّها للكفار والمشركين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة - الآية ٦
- أعدّها للمنافقين قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء - الآية ١٤٥
- أعدّها لمن عصاه وعصى رسوله وأطاع السادة والكبراء وأصحاب النفوذ في الدنيا فتعدى الحدود وانتهك الحرمات طاعة لهم ومخالفة لله ورسوله قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الأحزاب ٦٧. وقال رسول الله ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري
- أعدّها لمن تجاوز الحدود وآثر الدنيا على الآخرة قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ سورة النازعات
- أعدّها لمن ترك الصلاة وأعمال البر والإحسان وخاض مع الخائضين وكذب بالقيامة وما بعدها من حساب وجزاء قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلُومِينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعَمُ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ سورة المدثر.

أقل أهل النار عذاباً وأشدّهم عذاباً:

في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أحمص قدميه جمرة يغلي منها

دماغه). أما أشدهم عذاباً: فقد قال ﷻ يصف حالهم: ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ الزمر ٤٧ أي وظهر لهم من العذاب والنكال ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم كله جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم .

النار شقاء وتعاسة وألم دائم

إن شدة النار وهولها تفقد الإنسان صوابه، وتجعله مستعداً أن يضحي بكل أحبابه لينجو من النار، وأنى له النجاة قال تعالى: ﴿يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه* وصاحبه وأخيه* وفصيلته التي تؤيه* ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه*﴾ كلا إنها لظى * نزاعة للشوى﴾ المعارج: ١١-١٦. وهذا العذاب الهائل المتواصل يجعل حياة هؤلاء المجرمين في تنغيص دائم، وألم مستمر قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ النساء ٥٦ ويتمنون الموت والفناء لكن هيهات: ﴿ونادوا يا مالك ليقتلنا ربك قال إنكم ماكثون﴾ الزخرف ٧٧.

الزيادة على هذا العذاب

أن الله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ويجعل بينهم وبينه حجاب قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ المطففين ١٥

ندم أهل النار وحسرتهم (١)

عندما يرى أهل النار النار يندمون أشد الندم، قال تعالى: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ [يونس: ٥٤]، ويدعون بالشبور والهلاك عندما يلقون في النار، ويصلون حرها قال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحدة وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ [الفرقان: ١٣-١٤] وهناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم، ويدعون ربهم آمليين أن يخرجهم من النار، قال تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ [فاطر: ٣٧]، وهم يعترفون في ذلك الوقت بضاللتهم وكفرهم وقلة عقولهم قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠]، وقال تعالى: ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ غافر: ١١ ولكن طلبهم يرفض بشدة، قال تعالى: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ المؤمنون: ١٠٦-١٠٨ لقد حق عليهم القول، وصاروا إلى المصير الذي لا ينفع معه دعاء ولا يقبل فيه رجاء قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ السجدة: ١٢-١٤ ويتوجه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم شيئاً مما يعانونه قال تعالى: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا

(١) انظر الجنة والنار للأشقر

فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» [غافر: ٤٩-٥٠] عند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم قال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنون﴾ الزخرف: ٧٧. إنه الرفض لكل ما يطلبون، لا خروج من النار، ولا تخفيف من عذابها، ولا إهلاك، بل هو العذاب الأبدي السرمدي الدائم، ويقال لهم: ﴿فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ الطور: ١٦ هناك يشتد نحيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم قال تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة: ٨٢]، إنهم يكون حتى تنقطع الدموع، ثم يكون دماً، وتؤثر دموعهم في وجوههم كما يؤثر السيل في الصخر، كما جاء في الآثار.

خاتمة

أخي الحبيب عرفت فالزم وسمعت فأطع قل آمنت بالله ثم استقم ولا يغرنك قلة السالكين فالله تعالى يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ ولا تغتر بكثرة الهالكين فالله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ سورة الأنعام فانتبه لنفسك وتذكر أنك ستقف بين يدي الله للحساب وحدك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام ٩٤

دعاء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، وامتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وعقولنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

المصادر والمراجع (١)

- القرآن الكريم
- مختصر تفسير ابن كثير .. الشيخ محمد علي الصابوني
- رياض الصالحين .. الإمام النووي
- عقيدة التوحيد .. الدكتور صالح الفوزان
- منهاج المسلم .. الشيخ أبوبكر الجزائري
- أصول الدعوة .. الدكتور عبد الكريم زيدان
- الوحي في أصول الفقه .. الدكتور عبد الكريم زيدان
- الداء والدواء .. الإمام ابن القيم
- شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل .. الإمام ابن القيم
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .. الإمام ابن القيم
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة .. الإمام القرطبي
- مختصر منهاج القاصدين .. الإمام ابن قدامة المقدسي
- مقدمة في فقه أصول الدعوة .. الشيخ أحمد سلام
- من محاسن الإسلام .. الشيخ أحمد عز الدين البيانوني
- موضوع الدنيا مقابل الآخرة د: لطف الله عبد العظيم خوجة
- واحات المعرفة للمؤلف

(١) بعض المصادر لم أذكرها هنا لأنني اكتفيت بذكرها في الهوامش فيما مر معنا فليرجع إليها

الفهرس

٤	مقدمة الطبعة الأولى
٥	مقدمة الطبعة الثانية
٦	المبحث الأول (الله ﷻ)
٩	كيف نصل إلى معرفه الله؟
١٢	المبحث الثاني (الإنسان)
١٤	تكريم الله للإنسان
١٥	الإنسان جسدٌ وروح
١٨	شروط التكليف
١٩	علامات البلوغ
٢٠	المبحث الثالث (الدنيا)
٢١	الدنيا وبعض الحقائق
٢٣	الدنيا مقابل الآخرة في القران والسنة
٢٤	نتائج المقابلة بين الدنيا والآخرة
٢٧	مشكلة الموازنة في الاهتمام ما بين الدنيا والآخرة
٣٠	كيف يتعامل المؤمن مع الدنيا
٣٤	المبحث الرابع (الدين)
٣٩	خصائص الدين الحق
٤٢	الدين أوامر ونواهي
٤٣	كيف عرفنا هذا الدين؟
٤٤	من يقوم بواجب تبليغ الرسالة بعد وفاة الرسول ﷺ
٤٥	الدين يحقق مصالح العباد
٤٦	الدين نظام حياة شامل
٤٨	واجبنا نحو الدين
٥١	مراتب الدين
٥١	المرتبة الأولى: الإسلام:
٥٢	أركان الإسلام

٥٤	المرتبة الثانية: الإيمان:
٥٥	أركان الإيمان
٥٨	مراتب القضاء والقدر
٦٠	المرتبة الثالثة: الإحسان
٦٠	من راقب الله حرص على إتقان عمله والإحسان إلى خلقه
٦٦	المبحث الخامس (الشيطان)
٦٧	من حيل الشيطان وأساليبه في إغواء بني آدم
٧٠	مصائد الشيطان
٧٣	أولياء الشيطان وحزبه
٧٤	كيف الخلاص من الشيطان؟
٧٦	المبحث السادس (الذنوب والمعاصي)
٧٦	حقيقة الذنوب والمعاصي
٧٦	مداخل المعاصي
٧٧	تفاوت الذنوب والمعاصي
٨٠	علاج الذنوب والمعاصي
٨٠	شروط التوبة الصحيحة
٨١	المبحث السابع (الدار الآخرة)
٨١	الموت وما بعده
٨٢	حياة البرزخ
٨٣	قيام الساعة
٨٤	علامات الساعة
٨٦	النفخ في الصور
٨٦	أهوال يوم القيامة
٨٧	البعث
٨٩	الحشر والنشر والحساب
٩٢	الجنة والنار
٩٢	أولاً: الجنة:
٩٣	أقل أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة:

٩٤ الجنة نعيم شامل
٩٥ الزيادة على هذا النعيم
٩٥ ما يقوله أهل الجنة بعد هذا النعيم:
٩٦ ثانياً النار:
٩٧ لمن أعد الله النار
٩٧ أقل أهل النار عذاباً وأشدّهم عذاباً:
٩٨ النار شقاء وتعاسة وألم دائم
٩٨ الزيادة على هذا العذاب
٩٩ ندم أهل النار وحسرتهم
١٠١ خاتمة
١٠١ دعاء
١٠٢ المصادر والمراجع